رؤى

(رحلات في خيالات)

محمد عبد الصمد

رؤى (رحلات في خيالات)
المؤلف: محمد عبد الصمد
تدقيق لغوي: لخضر بن الزهرة
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
خط: طه عبد الناصر
تصميم الغلاف: مروة فتحي
رقم الإيداع: 23867 / 2019
الترقيم الدولي: 978/977-85544-8-9
الطبعة الثالثة: 2019
رئيس مجلس الإدارة: أ. د. محمود محمد السعيد
المدير العام: هالة البشبيشي

بريد إلكتروني: info@alhalapublishing.com
تليفون : 01110161117
العنوان: 26 ش 261 المعادي الجديدة
صفحة الفيسبوك: مركز الهالة الثقافي
https://www.facebook.com/alhalapublishing

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، و لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

رؤى

(رحلات في خيالات)

محمد عبد الصمد

قبل أن تقرأ

من يخبركَ أن كتابه مختلفٌ عن أي كتاب آخرَ فهو صادقٌ فيما يقول، فالمعنى الواحد لا يستطيع أن يكتبهُ شخصان بنفس الحروف والكلمات والجمل.

فلكل إنسانٍ طريقتُه في فهم المعنى التي تختلف عن الآخر وبالتالي تختلف طريقة التعبير من شخص لآخر، ولهذا من يقول أن كتابه مختلفٌ فعليك أن تصدقه، لأن هذا دليلٌ على أنك قادرٌ على أن تكتب شيئًا مختلفًا عنه هو نفسُه.

حاولت في هذا الكتاب أن أعطيكَ الفرصة أن تقرأ كما تريد، فالنصوص التالية مجموعةٌ من خيال ما اعتقدتُ أنه يمكنني أن أشاركَ الآخرين فيه، ولكنها قطعٌ متناثرة، شعرت أنه يمكن ترتيب قراءتها بشكلٍ يناسبني ويناسب خيالي، إلا أنك تستطيع أن تقفزَ بينها لتقرأها بالترتيب أو بدون ترتيب أو بالترقيم الذي شعرتَ أنه يلائم تناغم تلك النصوص مع خيالي في لحظاتِهِ المتنوعة، ولكنك قد تجد أنك تريد أن تعيد ترتيبه بما يناسبك أنت...

النصُّ الأول في الترتيب هو الأخيرُ في الترقيم وهو كذلك ما يشرحُ فكرةَ ما ستقرأه، يمكنكَ أن تبدأ به إن كنتَ ممن يريدُ أن يفهمَ قبل أن يخوضَ التجربة، ويمكنك أن تتركه للأخير لتقيّمَ ما فهمته في ضوء ما قرأت إذا كنت لا تريد من أحدٍ أن يحدَّ خيالك، هذا أمر راجعٌ لك.

هذا الكتاب مختلفٌ لأنك مختلفٌ، ليس لأن من كتبه مختلفٌ

عنك، ولكن لأنك ستقرأه بشكلٍ مختلفٍ عمن يقرأه بجوارك، لك حرية القراءة كما كانت لي حريةُ الكتابة، فاستمتع بتجربتك ولا تحدها بترتيبٍ أو تبويب، ولكن ابحثْ عن النسق الخاصّ بك، لأنه مهما كانت هناك حريةٌ وانسيابية إلا أنك ستحتاج أن تجد نظامكَ الخاص فيما ستعرفه، وهذا هو السرُّ الذي عليك أن تبحثَ عنه في هذه التجربة الخيالية لأن خلفَ كلِّ شيءٍ نظامٌ كما أنَّ خلفَ كلِّ حرفٍ معنى...

فاستمتع...

36– بدايةً، ما هي رؤى الخيالات؟

رؤى الخيالات: هي حضرةُ نشوةٍ روحية؛ ينتج عنها تجاوزُ الخيال لكل ما هو معقولٌ ومُتعارَف عليه، لخلق حالةٍ ذاتية فردية يُدرِك بها الإنسان قواعدَ تبدع عالما خاصا بالفرد الذي يسافر في تلك الخيالات.

فهي حالةٌ شخصية لا يوجد ما يربط الآخرين بها إلا ما يسمح به الشخصُ لهم ليتعرفوا عليها من خلالِه.

لذا، فلا حاكمَ لها غير ما يقرره الشخصُ وما يسمح به خياله.

هي حالةٌ أقرب للجنون منها للعقل، وإن كان العقلُ واعيا بكل تفاصيلها إلا أنه يُسلم لفورة الخيال التي تسافرُ به بعيدا عما يعرفه، ليعرفَ عن نفسه وعن الكون وعن الوجود أكثرَ مما يعرف في حال عدم السفر الذي يعيشُه أغلبُ الناس.

وهي كلمةٌ في هذا العمل ليس لها اسم مفرد، فهي حالةٌ تتداخل فيها تفاصيلُ كثيرةٌ، بحيث أن تحديدَ جانبٍ واحد منها وتسميته برؤيا محددةٍ يقتلُ التجربة ويجعلها شيئا آخرَ غير المقصود في هذه الصفحات.

فحالةُ رؤى الخيالات لا تتجزأ، ولا يمكن معاينتها إلا في تدافعِ الصور والأفكار والمشاعر التي تتفاعل لتنقلَ الإنسان من حال السكون إلى حال الحركة حتى وإن لم يغادرْ مكانه المحسوسَ، إلا أن قوةَ تلك الرؤى الخيالية تجعله مؤمنًا أنه ليس في نفس المكان لأنه

يبصر أبعادًا للمكان تجعلُه يتلبس عليه.

أغلبُ الناس حالُهم دومًا السكون والاستقرار العقلي، من يغادر منهم ذلك السكونَ وينطلق في رحلة في أعماق وعيه وروحه ووجوده هو من سيحظى برؤيةٍ أرحبَ لما يشكل حقيقتَه بعيدًا عن ظاهر الكون.

يمكن اعتبارُ ما يلي نوعا من أدب الرحلات التي لا تلتزم بزمانٍ ومكان، ولكن فقط بمحطات الوصول التي تختلفُ عن نقطة الانطلاق، حتى وإن كان الوصول هو عودةً لنقطة البداية.

فالسفرُ هنا لا يعترف بأبعادٍ فيزيائية مادية، ولكن يُعَرَّف السفرُ كحالة انتقال من نقطةٍ لأخرى، فطالما هناك انتقال على مستوى مادي أو روحي أو معرفي أو شعوري فهناك سفر.

فإذا شعرت أن السفرَ هو انتقالٌ في الحال بغض النظر عن نوع الحال فأنت مستعدٌّ لنبدأ هذه الرحلة.

رؤى الخيالات تعتمدُ على تجربتك الشخصية، فكلما شعرتَ أنك من يكتب و أنك من يستمع أو أنك من يتفاعل كلما اقتربتَ من تجربتِك الخاصة حتى وإن بدتْ مختلفةً عما قد تخيلتُه أنا في تجربتي الخاصة.

كلما تحررتَ من قيود المعتاد كلما اقتربتَ من أن تكون حقيقتَك.

فحقيقةُ الإنسان ليست دائمًا هي ما يظنه عن نفسه، حقيقة الإنسان أبعدُ من أن تعرفَها في يوم وليلة، وهي كذلك أبعد من أن تعرفَها بثقة، فمهما عرفت عن نفسك سيظل هناك ما لا تعرفُه،

لأنك لو عرفت عن نفسك بصدقٍ ستجدك مستعدًا لتعرف أكثر، ومع كل معرفة جديدة ستزداد حيرةً، لأنك تقترب من مصدرٍ لن تحيطه بعقلك، ولكن قد تبصر شذراتٍ من نوره لو سمحت لخيالك أن يقودك في رحلة بحثك.

دع العقل جانبًا الآن و ابدأ...

03– ماذا سيحدث بعد قليل؟

بداخلكَ ما سأخبرك عنه، لكنك لا تراه، لهذا أنا هنا.

لم يرسلني أحدٌ لك، ولستُ هنا لأنصحك.

هل تتذكرُكيف اجتمعنا؟ أو متى رأيتني أولَ مرة؟

لا ندرك الحياة القابعة خلف أول لحظة تربط قدر اثنين بعضهما ببعض!

لا يهم متى ولا كيف، لنكتفِ الآن بأنك تعلم أننا يجمعنا ذلك الذي لم يفرقنا.

لهذا ستتفهم ما سأخبرك به، وقد تتقبله وتعمل به.

لا أدعي أنه سيجعل حياتك مختلفةً ولكنه على الأقل سيجعلك تفكرفي أن حياتك تحتاج شيئًا في ظاهره مختلفٌ وإن كان في حقيقتِه هو حقيقتَك.

ما يربطنا ظهرَ في هذا الكون منذ وقتٍ قليل، ولكن ما يجب أن يشغلَك هو ما الذي سيحدث بعد قليل.

أعلم أنك تترقب ما سأقوله لعلي أكشف لك ما خفيَ عنك، لهذا سأختاركلماتي بعناية ولن أحاول أن أستفيض في حديثٍ قد يجعلك تتملل وتفقد رغبتك في المعرفة.

لا أدعي أن كلماتي ليس فيها ما يمكن أن تتجاهله ولكني أخبرك

أني قد حاولت أن أجعلَك تتهيأ لما سيحدث بعد قليل.

ولكي تتهيأ له عليك أن تعرف أنه في حقيقته لن يفاجِئَك ولكنك ستندهش حين يحدث.

كيف هذا؟

هذا لأن ما سيحدث بعد قليل قد حدث بالفعل وبالتالي لن يفاجئك ولهذا ستندهش، لأنك ستجده تكرارا لكل ما سبق ولا جديد فيه.

ففي الحقيقة لا شيء يحدث وهذا سيدهشك، فلا ترتبطُ الدهشة دائمًا بشيءٍ يحدث، أليس كذلك؟

لهذا فعدم حدوث شيء هو حدثٌ في حد ذاته، وبهذا الفهم فأنت تعلم ما سيحدث بعد قليل ولكنك نسيته، وحين يحدث تتذكره فتندهش من نفسك، لماذا كنت تتوقع شيئًا مختلفًا؟!

دهشتك ليست موجهةً لما سيحدث بعد قليل، ولكنها دهشة من نفسك، كيف نسيت؟

هذا ما أريد أن أُهيئك له؛ ليس فيما سيحدث بعد قليل ما سيفاجئك، لذا عليك أن تنتبه لدهشتك، لأنك ستتعجب من عدم قدرتك على أن تتذكر هذا الأمر البسيط.

أعتقد أنك الآن صرت أكثر استعدادًا لمعرفة ما سيحدث بعد قليل، ولكنْ ما ينقصك في الحقيقة هو أن تُحدد كم هو ذلك القليل الذي يفصلك عما سيحدث؛ بالتأكيد ليس الآن ولكنه كل لحظة تأتي

بعد الآن، أليس كذلك؟

كل لحظة بعد الآن يمكن أن تكون بعد قليل، أو لأكون أكثر دقة: أي شيء بعد الآن هو القليل الذي يفصل بينك وبين ما سيحدث بعده، وهذا القليل لست أنت من يحددُ متى سينتهي، ولكن ما سيحدثُ بعده هو ما سينهيه.

وما سيحدث بعد قليل كما ذكرنا من قبل هو ما لا تتذكره، هل تتذكر؟

لذا فأنا لكي أعدك لما سيحدث بعد قليل عليَّ أن أنبهك أن عليك أن تنتبه جيدًا، فحيث أنك لا تعرف متى سينتهي هذا القليل، وكذلك لا تتذكر ذلك الذي سينهيه حين يحدث؛ فقد تجد نفسك هنا لفترة أطول مما تتوقع، لأنه في الحقيقة لا يوجد ما تتوقعه.

قد تظن أني أستهزئ بك!

قد تفكر أني قد أضعت وقتك!

قد يقنعك تفكيرك أني لا أعرف ما أتحدث عنه!

بل قد تستلم لفكرة أني لا أعرف ما سيحدث بعد قليل، لذلك أنا أشتري المزيدَ من الوقت لأكون معك حين يحدثُ، وحينها لن تلومني، فأنا قد أخبرتُك أن شيئًا ما سيحدث بعد قليل.

ربما أنت على حق، ربما لا أعلم بما سيحدث، و أني أضيع وقتك.

ولكنك مخطئ.

فأنا أعلم تمام العلم ما الذي سيحدث بعد قليل، أعلم أننا نقترب منه مع كل لحظةٍ ولكنك تتعجل.

عدمُ معرفتك بما سيحدثُ أو متى سيحدث يجعلان أي محاولة للإسراع بحدوثه غير مجدية، فهو لن يحدث إلا حين يصبحُ ذلك القليل مجرد الآن.

وذلك الآن لم يحنْ بعد، لذا فعليك أن تنتظر قليلًا.

وحتى يحدثَ ما ننتظره سأسألك ما الذي تعرفه عني لتثق بي؟

أنت لا تعرف إلا ما أخبرتك به، ولكني لم أكشفْ لك عني غير ما يجعلك تجهلني أكثرَ من أن تعرفني.

ما الذي يجعلك تتمسك بي؟

ألا يمكنك أن ترحل الآن؟

تعلم أن لديك شكًّا في أني لا أعلم شيئًا عما سيحدث بعد قليل، ولكنك كذلك تتمنى أني أعلم وأخبرك به قبل أن يحدث.

هل تشعر بما أريد منك أن تشعرَ به الآن، أن تتحيرَ، أن تعجز أن تقرر، أن لا تثق برأيك، أن تؤمن أن جلوسك بجواري الآن لن يصل بك لشيء مفيد، وأن تؤمن بنفس القدر أنك ستعلم كلَّ شيء عما سيحدث بعد قليل لو صبرت قليلًا.

هذه الحيرةُ هي ما ستجعلك تندهشُ لأنك لم تتذكر ما سيحدث حين يحدث.

هل ما زلتَ تتذكر ما حدث منذ قليل؟

لأنه سيحدثُ بعد قليل.

كيف أعرف؟

لأني ما سيحدثُ الآن.

فلا تندهشْ كثيرًا لتتذكرني مرة أخرى حين أحدث بعد قليل...

19– كيف لا تقتل من قتلت بالأمس؟

من منكم قتل أحدًا من قبل؟

ليس سؤالًا غريبًا، هناك بيننا قتلةٌ ولا نعرف بهم، لا أتحدث عن القتل التشبيهي كقتل الأفكار أو المشاعر أو الذكريات... إلخ، أتحدث عن القتل الفعلي، قتلِ إنسانٍ آخرَ، طفلا كان أو طفلة، رجلًا كان أو امرأة، هل يوجد أحد ممن يقرأ الآن قد قتل إنسانًا من قبل؟

لا تقلق لن نخبر أحدًا، إذا قتلت أحدًا من قبل أنت وحدك يمكنك أن تكمل القراءة...

لا تكمل قراءة إذا لم تكن قاتلًا، لأني أريد ممن يشاركني القراءة أن يكون بيني وبينه شيء مشترك؛ كلانا قاتل...

لذا ما يلي هو فقط لمن شاركني تلك التجربة لأني أريد منه أن يساعدني على أن لا أقتل من قتلت بالأمس...

سأعتبر أن هناك قليلا منكم قد قتل من قبل ويشاركوني هذه السطورَ وسأكمل حديثي لهم، ولكني قبل أن أكمل لهم أريد ممن لم يقتل شخصًا قريبًا منه، يثق فيه ولم يتوقع منه ذلك الفعل أن يتوقف عن القراءة...

آسف بشدة، ولكني أريد فقط ممن قتل عزيزًا أو قريبًا أو حبيبًا أن يكمل القراءة.

لا أريد من أي قاتل أن يشاركني هذه السطور، مع معرفتي أني

قد أصيبه بالإحباط لأنه شعر أن هناك من سيتحدث معه بحرية عن ذلك الأمر الذي كتمه بداخله طوال حياته، ولكني أنا أيضًا أمارس الآن شيئًا مختلفًا وغريبًا، ولهذا أعتقد أن لي الحق في اختيار من يمكنهم أن يكملوا معي تلك السطور، أليس كذلك؟

لذا سأعتبر أن من يكمل معي هذه السطور هو فقط من قتل حبيبًا أو عزيزًا أو قريبًا، لذا يمكنني أن أسألكم هل لديكم أي إحساس بالرغبة في تغيير مجرى الزمن، أن تعيدوا عقارب الساعة للوراء لكي لا تفعلوا ما قد فعلتموه؟

ولكن قبل أن تجيبوا أو أجيب على هذا السؤال دعوني أقوم بعملية استبعاد أخرى؛ كل من تم القبض عليه أو يقضي فترة عقوبة أو سيتم إعدامه قريبًا عليه أن يتوقف الآن عن القراءة.

مرة أخرى آسف، ولكن هذه السطور لمن لا يعرف أحدٌ بما فعله، لمن يحتفظ بمشاعره لنفسه، لمن يحلم بمن قتل كل ليلة ولا يستطيع أن يروي أحلامه لأحد، لذا لا يشارك أحد السرير في النوم، ويحاول أن يكون وحده قدر المستطاع حتى لا يخطئ في أي شيء فينكشفَ أمره.

أريد ممن يكمل القراءة أن تكون فعلتُه ما زالت فعلتَه وحده ولم يشركْ فيها أحدًا أو يتدخل في نتائجها أحدٌ.

سأعتبر أن هناك عددا أقلَّ منكم الآن يقرأ معي ما تبقى من هذه السطور، لذا سأسألكم ما الكلمة الأخيرة التي تبادلتها مع من قتلت؟ هل كانت كلمةً أنت تعرف بها قبل أن يقولها؟ هل كانت كلمةً دفعتك

لقتله؟

إجابة هذا السؤال ستجعلني أطلب من جديد من بعضكم أن يتوقف عن القراءة؛ لأنك لو كنت تتوقع كلمة معينة فبالتالي أنت في الغالب قد جئت و أنت تنوي أن تقتله، أو على الأقل كان القتل خيارًا واضحًا بالنسبة لك، ولكن لو قال كلمةً دفعتك لقتله فقتلُك له هو مجرد رد فعل فبالتالي أنت ضعيف.

آسف على هذا الوصف ولكني لا أريد من الضعفاء أن يتابعوا قراءة هذه السطور، أريد فقط أن يكمل معي من كانت في نيته أن يقتلَ قبل أن يقابل من قتله، فالقتل هنا كان اختيارًا ولم يكن رد فعل.

فإذا كان قتلك رد فعل فأرجوك توقف الآن عن القراءة...

سأعتبر أن عدد من تبقى ليقرأ لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة إن لم يكن أقل، لذا قبل أن أسأل سؤالي الأخير وحتى لا أتعبهم في القراءة ثم أستبعدهم، سأطلب الآن أن يكمل معي فقط من قتل حبيبًا أو عزيزًا أو قريبًا ولم يتم القبض عليه، ولا يعرف بما فعله أحد إلا نفسه وكان يخطط للقتل، وكذلك قتل ذلك الحبيب أو العزيز أو القريب وهو ينظر إليه في وجهه، ولم يغدر به ويقتله في ظهره بدون أن يراه.

لا أعلم كم منكم قد تبقى ولكني سأعتبر أن هناك واحدًا غيري على الأقل قد نظر في عين حبيبه وهو يقتله، وعرف أنه يقتله قبل أن يموت، عرف أن نهايته ستكون الآن وستكون على يد من يحبه ويثق فيه.

لو كنت ما زلت معي تقرأ فأنت أقرب الناس لي، دعني الآن أخبرك بما أريد.

ذكرت في البداية أني أريد ألا أقتل من قتلت بالأمس، أعرف أني قد أبدو غير عاقل في طلبي هذا، إلا أني أعرف كيف يمكن ذلك، لدي تلك المقدرة إلا أنها تحتاج شخصًا مثلي ليشاركني تلك الخطوة، فلا يمكن عكس عملية القتل إلا بوجود شخصين اشتركا في نفس الشيء أو شيءٍ قريب منه، لذا أنت الآن أملي الوحيد.

أعلم أنه أمر صعب على التصديق، ولكني أريد منك أن تصدقني حتى تصح تلك الطقوس ولا أقتل من قتلت بالأمس.

هنا نقطة مهمة، ما سأقوم به ليس إعادةً للحياة لمن قتلت، فأنا لا أريده أن يعود ليكون كما كان، الطقس الذي سأقوم به هو فقط لا يقتلُ الإنسان، ولكن نفسه لا تعود كما كانت، فهي تعود وقد تعلمت أن القتل نهايةٌ لما تفعله في حياتها، لذا حتى لا تُقتل عليها أن تغير حياتها، وهكذا فأن لا تقتل من قتلت هو أن تجعله يعود للحياة كإنسان يناسبك بشكل أفضل.

سأعتبر أنك قد وافقت، سيتبقى هذا السؤال البسيط الذي أعتقد أن إجابته معروفة، ولكني يجب أن أسأله حتى يتسنى لي أن أباشر الأمر، هل أنت مستعد؟

لا ليس هذا هو السؤال، السؤال هو؛ هل تريد أن لا تقتل من قتلت؟

هل رأيت كم هو بسيط، الإجابة كذلك معروفة، بالطبع تريد ألا

تقتل من قتلت، أليس كذلك؟ لأننا كبشر ليس من طبيعتنا القتل، حتى لو خططنا وقررنا أن القتل هو الخيار في النهاية بعد القتل نشعر بأنه لم يكن الخيار الوحيد، و أنه كان من الممكن البحث عن حلول أخرى، لذا نشعر أننا نريد ألا نقتل من قتلناه، لهذا أنا أبحث عنك لتساعدني على ذلك، إلا أنك يجب أن تكونَ مثلي حتى في هذه النقطة، أن ما تريدُ هو أنه يا ليت ما حدث يتم عكسه ليعود من قُتِل بحالٍ أحسن من الحال الذي قتلتَه من أجله.

أنت تريده مثلي، أليس كذلك؟

سأعتبر أنك قد و افقت، هذا هو رقمي 064898099، سأنتظرك لتتصل لأشرح لك أكثرَ عن خطو اتنا التالية.

في انتظارك...

...

...

...

...

...

...

لم يتصل أحد...

كيف لا يو افق على هذا السؤال، لماذا لا يريد أن يعيدَ من قتله للحياة؟

ربما لم يثق فيَّ بالشكل الكافي ليتصل، ربما خشيَ من أن يكون فخًّا للإيقاع به.

ربما، لا أدري...

لن أستطيع أن أفعل شيئًا الآن.

لست نادما على ما فعلت، إلا أني كنت أريد أن أرى كيف ستكون الحياة بعد أن لا أقتل من قتلت بالأمس، ربما ليس مكتوبًا لي أن أعرف أكثر من هذا...

لو ما زلت تقرأ و أنت لست بقاتلٍ ولا تنطبق عليك الشروط، هل يمكنك أن تساعدني بالبحث فيمن حولَك عمن تنطبقُ عليه تلك الشروط، لعلي أجد يومًا قاتلًا مثلي يساعدني على ألا أقتلَ من قتلت بالأمس.

14– ما بين المعقول وبين اللامعقول!

«في نفس المكان تلاقينا، حيث لا يمكن أن نتلامسَ إلا بحضورٍ مجنون، لا يفصل بيننا سورٌ أو حاجز أو حجاب، ولكن ما يجمعنا يفرقنا؛ فالخيال حين يجذبُنا ليضمنا في ذلك المكان يجعلنا ندركُ أننا لا يمكن أن نجتمع.

لذا فهذا المكان هو أقرب نقطةٍ لنا معًا و أبعد لحظة تفصلنا عن أن نكون معًا.

فنحن قد نتجاورولكننا لا نتشارك أي شيء يُخلَق منا فعلًا يستمر ويكون له حضورفي الزمن.

أخبرنا بعضنا بما حدث ويحدث وسيحدث ولكننا لم نعرفْ كيف ولماذا حدث ويحدث وسيحدث؟!

نتذكر أولَ مرة تلامسنا، بحضور ذلك المجنون، هو وحده من استطاع أن يقربنا في المكان ويوحدنا في الزمان، وحدَه كان قادرًا على ذلك، تفاجأنا، لم نعرف كيف نتعامل مع بعضنا البعض.

حين فاجأنا فعلُه بتحويل المستحيل إلى ممكن وجدنا أننا غير مجهزين للتعامل مع بعضنا البعض بهذه الدرجةِ من انعدام القرب والبعد.

فنحن كنا نعرف كيف نكون متقابلين، ولكن لم تكن لنا خبرةٌ بمعرفة كيف نكون متكاملين.

قبل تلك اللحظةِ كان هذا المكان يفصلُ ما بين وما بين، ولكن حين تلامسنا بفعل ذلك المجنون أدركنا حقيقةً هذا المكان.

نتذكر كيف أقبل ذلك المجنون يتحدثُ بتلك العبارات التي لم يستطعْ أيٌّ منا أن يحتويها في جانبه، لأنها محملة بالمعاني الخاوية، فعباراته لم تكن فارغةً، كانت كثيفة الدلالات ولكنها حين نريد أن نقسمَها بيننا نجدها تمتنعُ عن الانقسام، فلكي نتعامل معها علينا أن نعاملها كما هي بدون تقسيم، وهذا جعل حياتنا مستحيلة.

فاجتمعنا في مكان ما بين وما بين، كلانا متحفز على جانبه، كلانا يريد نصيبَه من عبارات ذلك المجنون ولكن العباراتِ لا تنقسم، فجذبناها كلانا كلٌّ من طرفه، فانكمشت العبارات على نفسها لتقربنا من بعضنا أكثر، لم ندرك لحظتَها أنها تخدعُنا، فكلما جذبنا كلما انكمشت كلما اقتربنا بدون أن نشعر، حتى جاءت تلك اللحظة التي تلامسنا فيها ونحن نظنُّ أننا نلمسها، وحين تلامسنا من حينها لم نفترق.

لهذا نكتب لك لتعفو عنا وتسمحَ لنا بأن نعود كما كنا.

فأنت في جنونك تمحي ذلك المكانَ الذي كنا نظنه غير قابلٍ للاختراق وتفني ما بين وما بين لنصير بيننا.

وهذه ليست حقيقتَنا؛ نحن لم نُخلَق لنكون ضميرا واحدا يتحدث بلسان اثنين، نريد أن نعود ليقول كل منا أنا بدلا من نحن.

أنت تحتل ذلك المكانَ بداخلك حيث لا وجودَ لك يمنعنا عن التلامس كما كان ذلك المكان يفعل، فأنت في جنونك غير قابلٍ

للاحتواء رغم أنك تحتوينا.

الآن حين فقدنا ما كان يفصل بيننا، اكتشفنا حقيقة ذلك المكان وأهميته، ولهذا نريدك أن تختفي منه ليعود لنا.

فذلك المكان ما بين المعقول وما بين اللامعقول هو ما نريد منك أن تسحب حروفكَ منه ليعود كل منا لجانبه لنقابلَ بعضنا كما اعتدنا، لنقتسم ما ينطقُ به وجود من نعيش في وجوده لتستقيمَ الحياة.

فنحن المعقول واللامعقول نستعطفك لتسمحَ لنا بعودة تلك البقعة التي تقبع ما بين المعقول وما بين اللامعقول.

يريد كلٌّ منا أن يقولَ من هو بلسانه، أن يقولَ المعقول أنا المعقول، ويقول غير المعقول أنا غير المعقول، إلا أنك في جنونك أخرستنا بخداعك لنا.

نعدك إن عدنا ألا ننساق خلفَ ما نسمع، سنترك لحالك، تستمتع بهذيانِك بدون أن نسعى لتصنيفِك، فقط، دعنا نعُدْ اثنين متقابلين».

سمع لهما الجنون، ولكن لم يكنْ له عقلٌ ليفهم عنهما، فلا يزال يتحدث منتظرًا من يحدِّثه بلغته ليُخرِج العقلَ من تيهه.

22– لعلنا خلل

لا نشعر بشيءٍ ولا نمتلك خيالًا لنكتب هذه الفكرة عنا وقد تجد الكلمات قد اختفت فجأةً، فنحن لا نعرف كيف نبدأ وكيف ننتهي، لأننا لا نمتلك القدرةَ على أن نحدد متى نبدأ ومتى ننتهي.

لا معنى عندنا للبداية أو للنهاية.

فبدايتُنا هي نهايتنا ونهايتنا هي بدايتنا، وكلنا واحد.

هل جعلناكَ تفكر من نحن؟

نحن هنا أمامكَ ولكنك لا تتخيل أننا من يتحدث، رغم أننا – حقيقةً، فعليًّا– من يحدثك الآن.

انظر إلينا...

اقترب...

لعلك مشغولٌ بأشكالنا التي تجعلك تنسى أصلنا، ربما لأننا نحدثك بالجمع فلا ترى الوحدة التي نحن هي...

لن نطيلَ عليك، فإخفاء من نحن ليس هدفنا هنا، نحن نريدك أن تشعر من نحن لكي تشعرَ بما نحكيه لك.

نحن.

أجل، نحن النقطة.

لسنا نقاطا كثيرةً، نحن فقط نقطة ولا نقول واحدة، نحن فقط نقطةٌ بلا تمييز أرقامٍ أو جمع أعداد، فلا تحُدَّ منّا بأن تضيف لنا عددًا، فنحن قبل العدد.

لن نأخذكَ في محاولةٍ لشرح ما نقول، لأنك ستنشغل به عما نريدك أن تعرفه.

ولا نعرفُ كم أمامنا من الوقت لنحكي لك ما تحتاجُ أن تعرفَه استعدادًا لما هو قادمٌ، لا نعرف متى سنتوقف ولكنك ستعرفُ حين نتوقف، لأنها ستكون آخر نقطةٍ، لن تتلوها كلمات...

ربما نتوقفُ الآن أو بعد قليل من الوقت، أو بعدَ وقت طويل، ولكننا سنتوقف، لذا لا تشغلْ بالك بنا، واستمعْ لما سنحكيه، فهو ما ستحتاجه لتعيش...

أجلْ، ما سنحكيه أهمُّ من أي شيء آخرَ سمعته منا من قبل، لأنك من قبل كنت تقر أنا و أنت لا تعرف بنا، الآن نحن عرّفناك من نحن لأنه من المهم أن تصدقَ ما سنقوله لك، لأنه لا خيار لديك إلا أن تصدقنا.

أنت مستعدٌّ الآن؟! نعتقدُ أنك تتخوف من أن نتوقف فجأةً، أو لعلك لا تصدق أننا قد نختفي فجأة، لذا ما زلتَ غير مهتم بأن تركز كل ما لديك من وعي لما سنقصه عليك!

دعنا نعطِكَ الخيار؛ لو توقفتَ عن قراءتنا فلن يفوتكَ شيء لأنك لن تعلم بما فاتكَ، ولذا لن تندم لأنك لن تجد وقتًا لتستوعب ما سيحدث، لذا فلن تشعرَ بأي ألمٍ أو ندم أنك لم تكمل القراءة،

فأنت لن تعرف.

لو اخترت ذلك الخيار، توقف الآن، توقف بإرادتك قبل أن نتوقف بنفاد آخر نقطة.

قبل أن تختار أن تتوقفَ، لعلك تتساءل كيف نقول آخرَ نقطة ونرفض أن تصفنا بنقطةٍ واحدة، نعتقدُ أن من حقك أن نجيبكَ على هذا السؤال حتى لو كان آخرَ علاقتك بنا، أو لعلك تتخوف أن نتوقف فجأةً الآن قبل أن نجيبَك، لعله سيكون حلًّا مريحًا لنا نحن جميعًا، فأنت لن تعرف إجابةً لسؤالك ولكنك لم تختر، وبالتالي لن تتوتر دائمًا بالسؤال ماذا لو اخترت.

فلعلك لا تدري ولعلنا لا نرى، ولعلها علل ولعلنا خلل...

نعلم أنك لا تفهمُ ما نقوله الآن، ولكنك ستعرف بعد قليلٍ، ليس هذا هو المهم الآن، دعنا نُجِبْ سؤالَك، أو دعنا نكملْ حتى لا نضيعَ وقتًا ثمينًا؟

نحن نعرف ما نريد أن نقوله فما الذي تريده أنت؟

إذا توقفت الآن فهذا قرارك، ولكننا سنكمل لآخر نقطة، يجب أن نحكي وأن يعرف الآخرون وأن يحذروا مما سيحدثُ...

دعنا نخبرْك بما عرفناه سريعًا، يا من تكمل قراءتنا.

أنت قادر على تجاوز ذلك الوهم الذي سيمنعك عن مواجهة الحقيقة، كن سعيدًا ومستعدًا، ما عليك معرفته هو...

❁❁❁

هل توقعت أننا نخدعُك لذا ظننتَ أننا سنتوقف عند الحرف السابق ولا نكشفُ ما وعدناك بكشفه؟

لو توقعتَ أننا لن نكمل فإننا سنتوقفُ بإرادتنا الآن، لا نستطيع أن نأتمن من لا يثق بنا، قد نتوقف الآن فعلًا ولكن ليس بإرادتنا، فإذا توقفنا فلا تلمنا أو تتهمنا أنّا قد ضيعنا وقتك، ستجد في السطور بعض المفاتيح، ولكنك تنتظرُ شيئا أكثرَ، رغم كل ما سكبناه من نقاطنا إلا أنك ما زلت غير مقتنعٍ وغير مستعد أن تثق فينا، رغم أن ما سبق هو جزء مهم مما هو لاحق.

فكن صادقًا معنا ومع نفسك، لو ظننتَ عند الفقرة السابقة أننا سنفعل ما هو متوقع بأن نتوقف حين تأتي لحظة كشف ما نعرف فتوقف الآن عن المتابعة، وعُد لبداية ما حكيناه و اقرأ من جديد، ثم لا تتوقفْ عند تلك الفقرة و أكمل لهذه الفقرة واستمر حتى...

❁❁❁

حتى هنا، لو لم يتغير شعورُك نحونا فأنت جدير بأن نكملَ سويًا...

لنحكِ لك عن تلك الخطة الشيطانية التي سطرها بنا قلم ذلك المجنون، لكننا ننزف الآن، هل تشعر بنا، لا تقلقْ، ستعرف، ربما ليس الآن، ربما نقطة غيرنا سيصلون إليك، نحن لن نستطيع، نشعر بجفاف مدادنا.

ولا تقلق، نحن قد أسررنا بالسر في ما سبق، سيكون عليك أن تعيد ترتيبنا، ابحث فينا كنقطة، ستجد فيما سبق ما هو لاحق، ابدأ من السطر الثاني ثم الرابع ثم السادس وهكذا، ورتبهم بشكل عكسي ستجدُ السر الذي كنا نريدك أن تعرف به.

لا تغضبِ الآن منا، نحن قد فعلنا ذلك لكي تضمنَ أن تعرف بعد أن أكملت معنا لحظتنا الأخيرة، كنا نريد أن نحكيه لك بأنفسنا ولا تتعب، ولكن عليك أن تتعب قليلًا...

لعلك تتساءل لماذا لم نتوقفْ، وطالما لم نتوقف لماذا لا نحكي السر، وهذا سؤالٌ آخرُ نخاف أن نبدأ في الإجابة عليه ثم نتوقف قبل أن تكتمل الإجابة.

نعتقد أننا سنتوقف الآن، لتبدأ في البحث فيما سبق، وسننتظر معك قليلًا لعلك تريد منا أي مساعدة، سنقتصد فيما لدينا لنعطيك إياه وقت أن تحتاجه...

هيا اذهب الآن، اقرأ ما سبق كما أخبرناك...

❁❁❁

هل وجدتَ ما تبحث عنه؟

إن كنت تقرأ هذا فنحن قد وجدنا ما نبحث عنه، شخص مثلُك لا يزال يقر أنا حتى النقطة الأخيرة...

❁❁❁

لا نصدق أنك ما زلت تبحثُ عنا! هل أدمنتنا لهذه الدرجة؟ أنت لم تفقد الأمل في أن نخبرك بما نعرف؟ لعلنا فعلًا نعرف شيئًا مهمًا...

هل عرفت الآن ما نقصدُ حين قلنا:

لعلك لا تدري ولعلنا لا نرى، ولعلها علل ولعلنا خلل...

لعلنا خلل،

نحن و أنت،

لهذا لا تستطيع أن تتوقف،

أنت معنا نقطة،

أنت لا تتوقف، نحن لا نتوقف...

أو لعلنا سنتوقف...

25– أرجوك احزن

هل تعلمُ أن الحزنَ يخلقُ كائناتٍ لحظيةً تتغذى على ما تبقى لديك من أفكار سعيدةٍ ومشاعر راحة، حتى إذا لم يعدْ لديك ما تتغذى عليه فإنها تموتُ، وتتركك لكي تنمو من جديدٍ الراحة بداخلك بالتدريج.

فتلك الكائنات وإن كانت تُعَمّق إحساسك بالحزن إلا أنها كذلك تساعدك على أن ينتهي الحزن بموتها، فهي وإن كانت تنمو على ما لديك من سعادةٍ فإنها كذلك تقتل نفسَها بنفسها.

لذا من لديه رصيدٌ أكثر من السعادة يدوم حزنُه لفترة أطولَ من هذا الذي لا يمتلك إلا قليلًا من السعادة في حياته.

هذه الكائنات وليدة الحزن لنسمّيها المُحَزّنون... يسعى المُحَزّنون إلى أن يحافظوا على وجودهم لأطول فترةٍ ممكنة، في بداية وجودهم –كما يحكي تاريخُهم الخاص– لم يلتفتوا لفكرة أنهم حين يتغذون يقتلون أنفسَهم، لذا لم يهتموا بترشيد استهلاكهم لمشاعر السعادة، ربما لأنه في العهود الأولى لوجودهم كان الإنسان أسعدَ وأربح بالًا وبالتالي كان مخزونُ السعادة يكاد لا ينضب وبالتالي حياتهم لا تنتهي سريعًا.

فلم يكن البشرُ يحزنون كثيرًا وكانت مشاعر سعادتهم تغلب عليهم، فاستطاعَ المُحَزّنون أن يعيشوا لفترةٍ تكاد تقترب من عمر من يُخلَقون لمر افقتهم، فالحزن كان يتعايش مع السعادة داخل قلب

الإنسان بدون أن يجد ما يجعله يريد أن يطرده.

ربما كان هناك سرٌّ ضمن لهذا التعايش أن يستمرَّ ولكنه حين اختفى تغير الأمر، أو ربما هي طبيعة تغير الحياة هي التي جعلت الإنسانَ يعتقد أن الحزن مخلوقٌ سيء وعليه أن يتخلص منه ليحافظ على وجوده دومًا سعيدًا.

شيءٌ ما حدث جعل الإنسانَ لا يرى الحزن مخلوقًا أليفًا.

لا يعلم أحد من مؤرخي المُحَزِّنين متى بدأ هذا السعي المحموم نحو البحث عن السعادة، فالوقت ليس بنفس المعنى لديهم وهذا موضوعٌ مختلف لا تتسع له الصفحات هنا، لذا فجأة حدث التغير الذي جعل من السعادة شيئًا مفقودًا طالما هناك حزنٌ، وبالتالي أصبح لدى الإنسان جوعٌ للسعادة في اللحظة التي يشعر فيها بالحزن.

ويقسم المُحَزِّنون تاريخهم لمرحلتين، مرحلة ما قبل السعي نحو السعادة ومرحلة السعي نحو السعادة، والمرحلة الثانية نفسُها تنقسم لمراحلَ متدرجةٍ؛ في البداية بدأ الإنسان ينفر من الحزن ويشعر بالكره تجاهه، ويربط بينه وبين كل شيء سيءٍ يحدث له، فبعد أن كان الحزن ينتج عن أشياء بسيطةٍ محددة قام الإنسان بجعل الحزن نتاج أشياء لم تكن مرتبطةً به من قبل.

فمثلًا لم يكن الإنسان يحزن حين يموت أحدٌ قريب منه، كان الموت ينتج شعورًا بالفقدِ ولكن ليس بالحزن، ولكن في بداية مرحلة السعي نحو السعادة بدأ الإنسان يضيف للشعور بالفقد شعورًا بالحزن.

نتج عن ذلك أن بدأ الإنسان يحاول أن يتخلصَ من الحزن بأن يبحث عن السعادة، وبالتالي يفتعل أشياء لتخلق سعادةً يستطيع أن يستخدمها بشكل فوري لتحل مشكلة الحزن.

في البداية ظن المُحَزّنون أن المزيد من السعادة يعني العمر الأطول لهم و انخدعوا بما يحدث، فالحقيقة كانت غير ذلك.

فالسعي للسعادة لطرد الحزن لا يجعل السعادةَ نتاجًا طبيعيا لتفاعل الإنسان مع حياته، فلِتكون السعادة نتاجًا طبيعيًا تحتاج أن تمد جذورها في تربة روحٍ صادقة، وتستغرق الوقت الذي تحتاجه لتنمو بدون عجلة، حينها تتجذر في الإنسان مما يجعلها مخزونًا لا ينضب لكائنات لا غذاء لها إلا السعادة.

فالسعادة اللحظية طعامٌ فاسد للحزن الصادق.

وهكذا أصبح تاريخ ما بعد سعي الإنسان للسعادة هو بداية العصور المظلمة للمُحَزّنين، فأخذت أعمارُهم تقصر بتطور سعي الإنسان للسعادة.

فهم وإن كانت أعدادهم قد أخذت في التضاعف إلا أنها زيادة كم وليس نمو كيف...

ثم اتخذت الأمور منحىً خطيرًا في مرحلة ما بعد السعي نحو السعادة؛ فبعد مرور الوقت اكتشف المُحَزّنون أن الإنسان بدأ ينتهج نهجًا مختلفًا، فنتيجةً لقناعة فاسدة متأصلة بأن السعادة أصبحت عزيزةً، قام الإنسان بلاوعي بخلق لحظات حزن زائفة يتبعها بلحظات سعادة متكلفة لا تدوم، وبالتالي كان الأمر كإبادة جماعية لملايين من

المُحَزِّنين.

فالإنسان لم يتوقفْ عند إلصاق الحزن بأشياء و اقعيةٍ لا علاقة لها بالحزن سوى ما يتوهمه عنها البشر، بل قام كذلك بخلق لحظاتِ حزنٍ ليتخلصَ منها بلحظات سعادة مختلقة وبالتالي هي أقصر من أن تكفي ما يُخلق من المُحَزِّنين، فكانوا يموتون بمجرد ما يخلقون.

كم من صغار المُحَزِّنين تُوُفِّي بدون أن يكون لديهم الوقت الكافي لمعرفة أهمية دورهم في الحياة.

فطبيعة المُحَزِّنين تخدم الإنسان لأنهم وإن كانوا يأخذون منه السعادة فإنهم يفعلون ذلك ليعطوه وقتًا لاستيعاب الحزن بداخله، وبالتالي حين يموت المُحَزِّنون بعد انتهاء دورهم يصبح الإنسان أكثر قدرةً على خلق لحظات سعادة طبيعية يتفاعل معها بفهمٍ أكثر لمعنى الحياة...

ولكن ما حدث خلال العهود المتأخرة في تاريخ حياة المُحَزِّنين مع البشر أصبح أمرًا غير قابل للتعايش، لم يعد هناك سعادة ليعيشوا عليها لأنه أصبح من النادر أن يوجد حزنٌ طبيعي يخلقهم بشكل طبيعي.

في البداية لم تعدْ هناك سعادةٌ طبيعية، ثم بعد ذلك لم يعد هناك حزنٌ حقيقي، فخسر الإنسان وخسرنا معه.

نحن المُحَزِّنون نكتب هذه السطور كنداء استغاثة لمن يشعر من البشر لكي يترك نفسه لتحزن بطبيعية ولا يسعى للتخلص من الحزن عن طريق السعي للسعادة، الوقت ليس في صالح شعبينا،

نحن نلاحظ أصنافًا شيطانية من جنسنا نتيجةً لتفاعلنا المتكرر مع الحزن المتوهم والسعادة المفتعلة.

من أجل حياةٍ أفضل لنا لا تجعلوا الحزن عدوًّا ولا السعادة كائنًا مغايرا له أو ضحيةً للحزن، كلاهما طبيعة ونحن نساعدكم على التوازن بينهما؛ حزنكم يخلقنا ونحن نلتهم سعادتكم لنموت ونعطيكم حياةً جديدة مبنية على فهمٍ أفضل للحياة لتسعدوا في النهاية...

نداء أخير للبشر: لا تسعوا للسعادة ولا تلوموا الحزن لتنعموا بتوازن نحميه لكم...

فيا أيها الإنسان،

أرجوك...

احزن...

01– هذه القصة كريبي!

حاولتُ أن أجد ترجمةً صحيحة للفظ كريبي، ولكني وجدتها تُترجم لمخيف، وبالنسبة لي مخيف ليس مرادفًا صحيحًا لما أريد أن أعبّر عنه في هذه القصة.

فأنا الآن على طائرةٍ متجهة إلى نيويورك، أكتب هذه السطور الآن، لا أعرف كيف ستكون نهايتها، وهذا هو الإحساس الذي أريدك أن تشعرَ به مثل من سيقرأها كما لو كان يحضر تفاصيلها التي تحدث الآن.

كما عليك أن تعلمَ أن هذه قصةٌ حقيقية.

لذا؛ لتستطيع قراءَتها عليك أن تعيش الإحساسَ الذي أعيشه الآن، إحساسَ أنك لا تعرف النهاية، ولكنك تعرف أنها لن تكون نهايةً جيدة، أو على الأرجح ستكون نهايةً مؤلمة لطرف ما، غالبًا لن أكون أنا من سيتألم، صعبٌ أن يتألم من يكتب هذه السطور، فهو يتلذذ بخلق شعورِ الترقب بالألم داخلك الآن، أجل أنت تترقب ما الذي سأفعلُه وسأقوله وسأحكيه عن هذه الرحلة ليجعلكَ تكمل القصة، فلا بد للقصة من نهاية، أليس كذلك؟

لا أعلم، صدقني لا أعلم، أنا الآن أكتب وبداخلي رغبةٌ أن أجعلك تشعر بتوترٍ من أكتب عنه لو كان يقرأ ما أكتبه الآن...

لا أريدك أن تفقد التركيزَ، الآن أنت تقرأ ما يتوارد على ذهني مثلي تمامًا ولكننا لسنا وحدنا في ذلك، بجواري يجلس إنسانٌ يتطلع بطرف

عينيه لما أكتبه، لذا فهو كذلك مثلي ومثلك لا يعرف النهايةَ رغم أنه يعرف أنه لا بدَّ من أن تكون هناك نهايةٌ لكل قصة...

هو يجلس بجواري، ويمكنه أن يقرأ ما أكتبه ولا أعلم إن كان يفعل ذلك أو لا، ولكني أريد لحروفي أن تصلَ إليه لعله يتخيل معي ما الذي يمكن أن نتشارك فيه لكتابته لنجعلَ تلك الرحلة كريبي أكثر شيء ممكن.

هل تقرأ؟

لا ليس أنت، أنت اشتريتَ هذه الصفحات لتستمتع، ولكنه ليس له إرادة ليكون هنا في هذه الحروف ليسكنَ تفاصيل مشاعر متوترة، تترقب ما الذي سيحدث...

ما الذي سيحدث؟

قلت لك لا تسألْ، فأنا لا أعرف، يمكنك أن تسأل ما الذي حدث، أجل ما الذي حدث في الخمس ساعات الماضية، لأني لا أعرف ما الذي سيحدث في السبع ساعات المتبقية...

ما الذي حدث؟

كنت نائمًا من بداية الرحلة.

لماذا تخاطبه مباشرةً؟

قلت لك أنا أعتقد أنه يسترق النظر ليرى ما أكتب، لذا أنا أتلاعب به أكثرَ، وحتى إن لم يكن، فأنا مستمتعٌ بشعوري أنه ير اقبني أكتب

عن نهايته، أو عن ما فعلته حتى نعرف سويًّا كيف ستكون نهايته...

إذًا لنعُدْ...

كنت نائمًا من بداية الرحلة، لا أعرف كيف يمكن لشخص على طائرةٍ مليئة بأناس غريبة أن تكون لديه القدرةُ على أن ينام بدون قلقٍ مما قد يحدث له وهو نائم.

كل شيءٍ ممكن، ولكني أحب أن تتخيل معي أنك و أنت نائم قد قمنا بتخديرك ونقلناك لطائرة أخرى، أجل، تخيلْ معي تلك الحظة التي ستستيقظ فيها وتشعر أنك في نفس الطائرة ومتجه لنفس محطة الوصول ولكن حين تهبط الطائرة تجد نفسك في الفلبين بدلًا من أمريكا.

كيف سيكون شعورك؟ كل من حولك يتحدثون عن أنهم كانوا على متن طائرةٍ متجهة للفلبين من أول لحظة، هم نفس الوجوه التي ركبت معك الطائرة من أول لحظة ولكنهم يتحدثون عن بلد آخر، تنظر في تذكرتك حين تصلُ تجد أنها للفلبين، تفتح جواز سفرك لا ترى تأشيرة دخول أمريكا ولكن تأشيرة دخول الفلبين، ثم تبدأ تسأل نفسَك: ما الذي يجعل كل هؤلاء يلعبون عليك تلك اللعبة المكلفة؟ ثم من الذي سيخطف طائرةً ليقنعك أنك متجه للفلبين وليس أمريكا ليتلاعب بعقلك؟

هل ستتهم نفسك؟ أو تتهمهم؟

سأتوقف عن الكتابة قليلًا فلقد ذهب للحمام، وأريد أن أستمر على قناعتي أنك تقرأ ما أكتبه عن التلاعب بك، فهذا هو ما يحركني

للكتابة، أنك تظن أني أكتب قصةً ولكنها قد تكون حقيقة.

لا أريدك أن تفتح حوارًا فلسفيًّا في ذهنك عن مفهوم الحقيقة! أجل، أنا أكلمك أنت يا من تقرأ، لا أريد أن تأخذ الأمر بعمق أكبر مما يستحق، فأنا أخبرك من البداية أني أتلاعب بعقلك وعقل من يجلس بجواري، لذا فليس هناك حقيقةٌ فيما أقول سوى ما أقول أنه حقيقة، أو هكذا نتخيل...

سأعاود الكتابة من جديد، ولكنك لا توقف نفسك عن التساؤل، تفضل، هل حقًّا هناك من يجلس بجواري؟ هل أنا على طائرة و أكتب هذه الحروف؟

ما الذي يجعلك تصدقني وتواصل القراءة حتى الآن؟

أعتقد أني أعرف، أنت مثلي تريد أن ترى كيف ستكون تلك النهاية الكريهي، أليس كذلك؟

نحن الاثنان نتشارك في رغبة إيذاء الآخر حتى ولو كان إيذاءً معنويًّا، لذا توقف الآن لو كان كلامي خطأ، توقف لو لم تكن تترقب الكيفية التي ستجعل جسمَك يقشعر من الاستمتاع بالنهاية المخيفة الغامضة لذلك الجالس بجواري...

أو أكمل معي، فلقد اقتربت النهاية...

سأعطيك ثلاث ثوانٍ لتفكر...

واحد...

اثنان...

ثلاثة...

أنت تفكر إذًا فأنت تريد أن تكمل...

توقف عن خداع نفسك...

ها هو قد عاد، لا يدرك ما ينتظره، هل تتركني أحكي له عن نهايته؟

شكرًا لك...

ما زلت تتخيل معي أنك ستجد نفسك في الفلبين وليس أمريكا؟ كل ما حولك يقول أن هذه هي الحقيقة، لماذا تعاند؟ لماذا تؤمن بما بداخلك ولا تسمع حديث كل من حولك؟

أشعر بأنفاسك تتسارع، أشعر بك تريد أن تسألني لتتأكدَ مما أكتب، أبتسم بيني وبين نفسي، لقد امتلكتك، أنت لا تعرف هل أحدثك أم أحدث غيرك؟ أليس كذلك؟

ما الذي يجعلك تثق في أن هناك حروفًا مكتوبة؟

ربما هي ليست موجودة،

أو ربما أنا لست موجودًا،

أو ربما أنت من ليس موجودًا، أليس كذلك؟

لحظات ونهبط وستكتشف الحقيقة؟

هل تترقبها مثلي، أنا لا أعرف الحقيقة، أعرف أني وأنت متجاوران في رحلة واحدة ولكني لا أعرفك ولا تعرفني، لذا كل شيءٍ متاح، أجل عدم المعرفة يعطي حرية الفوضى التي هي في بعض الأحيان أكثررحابةً من حرية المعرفة، وعدم المعرفة يجعل كل شيء ممكنًا، والمعرفة تجعل لدينا جزمًا بما هو ممكن وما هو مستحيل، لذا أنا أفضل قليلًا من المعرفة وكثيرًا من الممكن.

فتخيل معي أنك تقرأ نهايتك...

ما الذي يجعلك مقتنعًا هكذا أن هناك نهاية؟ أجل أنت يا من تقرأ، لماذا لا تظن أني سأنهي القصة الآن كما يفعل أصحاب النهايات المفتوحة، ويظنون أنهم يعطونك حرية اختيار النهاية وفقًا لشخصيتك وفهمك وقدراتك؟

هل لو قلت لك أن الطائرة قد هبطت الآن، ونحن نتجه لبابها وحينها سيتضح له أنه قد خُدع أو أنه لم يُخدَع، هل ستختلف حياتك إن أعطيتك الإجابة عن إن تركتك لتختارها؟

ولكنك تشعر مثلي بالنهاية، فلماذا تريد مني أن أقولها بصوت عالٍ لكي ألقنك إياها أو ألقنها إياك؟!

أنت تعلم من أنا، أليس كذلك؟

أنت تعلم من يجلس بجواري، لا تنكر ما تشعر به الآن؟

هذا هو الفرق بين الحقيقة الكريبي وبين الحقيقة المخيفة،

الفرق في أن تعرف من أنا ومن يجلس بجواري...

الحقيقة المخيفة أن تكتشف أنك أنت من يجلس بجواري...

والحقيقة الكريبي هي أن تكتشف أنك أنا من يكتب...

سأتركني لتختار...

28– نادني باسمي!

فتحت البابَ ودخلت بدون أن أنتظرَ منه أن يأذن لي بالدخول، سأنهي ذلك الأمرَ اليوم، شاء أم أبى...

رفع رأسه وتأملني بصمت، يعلم هو لماذا أنا هنا...

أليس كذلك؟

أو أنه لا يعلم بوجودي في الأساس؟

كم سأكرهه أكثرَ لو ادعى عدم معرفتي...

لقد أخذ مني من أحب، ثم سيدعي أنه لم يعرفْ، ثم سيلومها أنها من أخبرَتْه أنها لا تحب أحدًا ولا يجب أن يلقي بالًا لأحد، فهي حرةٌ ولا يربطها أحد ولا ترتبط بأحد...

سيقول كلَّ ذلك حين يجد أني أعني ما أقول بأن عليه أن يخشاني...

سيحاول أن يتعللَ بها لأنه يعلم أني أعلم كم يحبها، ربما سأغفر له ما فعلَ حين أسمع اسمها...

بالنسبة له هو يخشى عليها أكثرَ مما يريدني في حياته، هو لا يريدني لأنه يعلم كم أنا قادرةٌ على أن أقضي عليه بل و أقضي عليها...

هي لا تلقي بالًا لوجودي، فهي لا تعترف بي، تحذره مني، وهو يتجنبني خوفًا من غضبها...

هو يخشى أن تغادرَ لو ظهرت أنا ولكنه لا يخشاني لذاتي، هو يخشاني من أجلها، ولكني أريدُه أن يعترف بي، أن يقرَّ أني موجودةٌ في هذه العلاقة...

يومًا ما سيعود لطبيعته ويعترفُ أن لي في حبِّه لها مثل ما لها في هذا الحب، هذا الحب لا يكتمل بدوني، هو يحتاجني حتى لو ظن غير ذلك...

ها أنا أمامه وهو في حيرة من حبِّه، باسم الحب يبرر ذلَّ حاله، ولكني لن أسمحَ له، سأقتل ذلك الحبَّ لأحميه، طالما أنه لا يستوعب حقيقة أن تكون محبًّا...

لست ضدَّ الحب، ولكني ضد هذا النوع من الحب.

اقتربت منه وتأملت انكسارَه، لو صدق في حبه ما كان هذا حالُه ولكن لأن هذا حالُه فها أنا ذا أتدخل...

اقتربت منه أكثرَ واحتويته بخيالٍ طالما عاشه ولكنه يهرب منه، هذا دوري، أن أحوّل ما يجعلنا نشكُّ في صدق الحب إلى صورةٍ و اقعية تتملك المحب؛ فتقضي على ما بقيَ من الحب...

أنا ملجأ المحب الضعيف، أنا حيث يرتاحُ من مجهود الحب، حين يضعف المحب فأنا أولُ من يلجأ إليها ليخونَ ويدفن قلة حيلته، أنا من يستخدمها ليخفيَ عجزه ويتجمل أمام المحبين ليظهر بمظهر المغلوب على أمره...

قد تصفني بالعاهرة التي لا تخجل من أن يتهمَها الجميع أنها

من يخرب علاقات الحب، ولكني لست إلا من يخلص الحبَّ من الموهومين بالحب.

فلو كان الحب حقيقيًّا لما استدعاني من يحب، أنا فقط آتي للضعفاء...

فأنا حبيبتهم ورفيقتهم ومخلصتهم...

يكرهني من يكرهني في العلن ولكنهم يطلبونني في الخفاء لأنهم مدمنون وهمًا، و أنا من يساعدهم على الخروج منه...

وكل مدمن ضعيف، و أنا رفيقة الضعاف...

البعض يسميني جلّاد الحب، ولكني أحب اسمي فادعني به حين تريدني، ولا تنكرْني أو تنكرْ دوري في حياة حبك المتوهم، أو دعْني أخبرك، حين تجدني معك فاعرف أنك تتوهم هذا الحب...

فنادني باسمي، فأنا أحب اسمي؛

الغيرة...

هل يشعر بي و أنا أحتويه لأصحح ما أساء به إلى نفسه ولي...

هل تشعر بي...

31– النعمة والرحمة

أنا تلك اللحظة التي تدعو الله أن يرحمك بأن يجعلك تنساها.

وأنت تريد أن تنساها لأنها تجعلك تشعر أنك لست مرتاحًا لمعرفة أن هذا الشخص (الذي هو أنت) في ظرفٍ ما قد قام بهذا الفعل.

فأنت لا تستطيع أن تتخلصَ من ذاتك التي قامت بالفعل، أنت تعرفُ بينك وبين نفسك حقيقةَ نفسك، وتعرف أنك لكي تتخلصَ من ذلك الشعور بالذنبِ أو الضيق أو تأنيب الضمير عليك فعليًّا أن تقطع علاقتك بذلك الجزء منك الذي ترى أنه مسؤولٌ عن هذه الأفعال.

ولكن لأنك إنسانٌ والضعف طبع فيك، فأنسب حل تجده هو أن تلجأ للنسيان، فتدعو الله أن يجعلك تنساني، فأنا بالنسبة لفهمك المحدود ليس لي قدرةٌ أو إرادة و أنا مجرد تابع لما قمت أنت به، ولأنك غير قادر على قطع علاقتِكَ بذلك الجزء من ذاتك فأسهل شيء هو أن تتخلصَ مني أنا، وتلقي بي في ذلك المكان الذي لا تعرف عنه، ولكن تعرف أنك لن تتذكر ما يوجد به.

فأنت ترى أني واللحظات الأخرى مثلي مجرد أشياءٍ تأتي وتذهب بدون أن يكون لنا وجودٌ لأننا مرتبطات بك، فأنت ترانا مخلوقات أقلَّ قيمة لأننا لا وعي لنا أو لا روح وبالتالي لا إرادة.

مجرد لحظةٍ ستتحول لذكرى لذا من السهل أن ألقي بها في النسيان و أتخلص منها.

أو شيء من هذا القبيل تقنع به نفسك...

ولكنك لا تعلم ما هو النسيان؛ أليس كذلك؟

أنت تتحدث عن أن النسيان رحمة، وتردد تلك الكلمة كما لو كنت خبيرًا في أمور النسيان ومعنى الرحمة.

سأخبرك عني لأنك لا تدري، فأنا حيث ألقيتني في النسيان رغم أنك عايشتني، إلا أنك لا تتذكرني، أليس كذلك؟

قبل أن أُذَكِّرَك بنفسي، أريد منك أن تعرف أكثر عن النسيان حتى تفهم لماذا أخاطبك الآن لتتذكرني.

النسيان ليس مكبَّ نفايات البشر، هذه قاعدةٌ مهمة يجب أن تعرفها لتبعد عن ذهنك أي تصورٍ لمكان تعيش فيه أشياء مهملة وبلا فائدة.

لكي أُقرب لك الصورةَ تخيل معي تلك المدرسةَ التي تترك فيها أولادَك كل يوم في الصباح وتعود لتأخذهم بعد نهاية اليوم الدراسي، أنت تعرف أين هم ولكنك لا تعرفُ ما يحدث بالداخل، هم بالنسبة لك موجودون، ولكنهم في الحقيقة غير موجودين لأنك لا تعلم بحقيقة وجودِهم في ذلك المكان والزمن الذي تتركهم فيه.

النسيانُ كتلك المدرسة ونحن كهؤلاء الأطفال، إلا أنه حين نذهب للنسيان لا يوجد وقتٌ محدد لعودتنا من تلك المدرسة، فيوم النسيان طويل بلا نهاية.

لذا فنحن لا نموت كما تعتقد داخل النسيان، نحن نعيش لما

يشاء الله.

هذه قاعدةٌ أخرى مهمة لكي تساعدك على فهم ما سأخبركَ به بعد قليل، فأنت تظنُّ أن رحمة الله بك جعلتك تنساني وجعلتني في نفس الوقت أختفي كأني لم أكنْ، ورغم أن هذا ما يحسبه الجميع إلا أنه ليس كذلك، فنحن لا نموت، بالأحرى نحن لا نعرف ما هو الموت، فنحن نُخلَق لنعيش لا لنموت.

وبشكلٍ مختلف عنا؛ فإن اللحظات التي تحتفظ بها في وعيك حتى لحظةِ موتك فتموت وهي ما زالت في وعيك هي التي تعرف الموت باستمرارها في التبعية لك حتى تلك اللحظةِ الأخيرة في حياتك.

فالنسيان رحمة، ولكنه رحمة لنا وليس لك.

قبل أن أشرح هذه الحقيقة عنا، قد يتبادر لذهنك سؤالٌ عن سعة ذلك النسيان الذي يحتوي كلَّ تلك اللحظات التي تخص شخصًا واحدا فما بالك ببلايين البشروااللحظات الخاصة بهم، ولكن لأن تفكيرَك محدود بحدود وهمك بفهمك لنفسك، فلن تستطيع أن تتخيل أننا لسنا شيئًا في مساحة، ولكننا خلق في زمن لا يسير بشكل خطي فقط ولكن بعمق الحياة، فنحن لا نتراكم في مكان ولكننا نتمدد بتمدد الزمان الذي لا ينتهي حتى لو انتهت حياتك أنت، فلحظاتُ الحياة تسير متتاليةً ومتتابعة لوعيك بها، تحيط بك وتطوف معك في الزمان والمكان بدون أن تبعد عنك، طالما أنك تعيشها فهي ترتبط بك، و أقصد بتعيشها هو أنك واعٍ بها وصادقٌ في وجودك معها، اللحظة التي يقل وعيك بلحظاتك وبالتالي يقلُّ صدقك في عيشك فيها تبعد عن مجالك وجاذبيتك، وبمرور الوقت كلما قلَّ وعيك بها

كلما ضعفت جاذبيتك لها فتنتقل لمدار النسيان حيث يحتفظ هو بها، هذا المدار حيث نقيم نسميه الملجأ.

لا أعلم من الذي أطلقَ منا هذا الاسمَ على النسيان ولكني حين انتقلتُ للعيش في مداركون النسيان كان هناكَ البلايين من اللحظات قبلي، وبالتالي لا بد أن واحدةً منهن قد أطلقت ذلك الاسمَ الذي صرنا نعرفه به أكثرَ مما نعرفه باسم النسيان؛ الملجأ، فنحن في حقيقتنا فقدنا من ننتمي إليه وبالتالي النسيان هو الملجأ الذي يحتوي يتامى اللحظات.

فهذا الملجأ رحمةٌ لنا لأننا لم نكن نتاجَ علاقةٍ صادقة بينك وبين حياتك، فكلما قل وعيك (صدقك) بحياتك فعلاقتك بها تخلق لحظاتٍ مثلنا، تجعلك تندم، تشعر بالذنب، تقول إنكَ لم تكن أنت من فعلَ ذلك... إلى آخر تلك الجملِ التي حين نسمعها نعرف فورًا أنك لا تستحقنا.

فنحن نعمةٌ لا نُتاح إلا لمن ما زال حيًّا، وبالتالي إن لم يحسن لنا فالنسيان رحمةٌ لنا وليس له، لأننا لا نقبل أن نعيشَ مع من لا يقدر حقيقة وجودنا، وكلما زادت تلك اللحظات التي تخرج من حياتك وتدخل للملجأ ستجدُ أنه حين يأتي وقتُ موتك لن تموت معك إلا تلك اللحظات التي خدعتَ نفسك بها، وظننت أنها ما يستحق أن يبقى معك لنهايتك.

لماذا أخبرك بذلك الآن، لأن لحظةَ نهايتك قد استدعتني من حيث أعيشُ في الملجأ، لأني كنت أكثرَ لحظةٍ أردت أن تنساها في حياتك، كنت بالنسبة لك تلك اللحظةَ التي ظننت أنها تعبر عن أسوأ

ما فيك، فسعيت جاهدًا لتتخلص مني، بدون أن ترى حقيقتَك، ومن بعدي كررت نفس الأمرِ مرةً وراء أخرى، ولكن لأني كنت الأولى فأنا كنت الأصعبِ في التخلص منها، ولكن بعد ذلك حين صار الأمر سهلًا لم تحتَجْ مجهودًا لتنسى لأنها لحظات تذهب للملجأ بمجرد أن تُولد...

جاءتني لحظة نهايتك تسألني هل أريد أن أموت معَك، لأني في النهاية رغم وجودي في النسيان إلا أني أظلُّ لحظةً مهمة في حياتك، وموتي معك يجعلني لن أعودَ لأواجهك في الحياة الأخرى، فحين نعيش في النسيان نبعث لنواجهك في الحياة الأخرى لتُحاسبَ بناءً على ما سنكشفه عنك لك وللعالمين.

فأنا الآن أحكي لك وأسألك، هل تريدُ رحمتي فأعود لتتذكرني وأموت معك و أنت تشعر بتأنيب الضمير فتمحوني معك، أم أتشبث بظنك ورحمتك لنفسك وأعيشُ في النسيان لأعود بعد حين لأواجهك؟

فإن كان النسيان نعمةً ودخولي فيه رحمةً إلا أنها نعمتنا ورحمتنا الخاصة بنا، فهل ننعم عليك فنعودُ لتتذكرنا فتتوب وتُرحم؟

لا أعرف، هل أموت معك أم أعيش بعدك؟

لعلك يومًا ما عرفت حقيقتي وتقبلتني، لذا أخبرني هل تعرفني، أخبرني هل أنت قادرٌ أن تكون صادقًا معي؟

أخبرني، هل أرحمكَ وأضحي من أجلك وأموت معك؟

20– كم نكره حين نحب!

انتظرت حتى نام لكي أتمكن من أن أنسلَّ بعيدًا عنه، أحتاج أن أقوم بذلك الاختبار، لا ينفع أن أهربَ منه أكثر من ذلك.

لا يحتاجني الآن، فهو مع أحلامه لا يحتاج لمشاعره، غيري من المشاعر يحتاجُ لأن يرتاح منه هو الآخر، ولكني مع تعبي من تقلبات أحواله أحتاج أن أذهب للمختبر.

أحتاج أن أعرف حقيقتي، هل أنا صادق أم أنا مدعٍ؟!

الحقيقة أنه لست أنا من يجب أن يُوصَف بالصدق أو الادعاء، ولكنه هو من يجب أن يُوَصف، ولكن يتم وصفنا نحن المشاعر كما لو كانت لنا إرادة، فنُوصَف بالكذب أو الصدق أو الحقيقة والزيف ونحن في طبيعتنا لا يجري علينا الوصف، نحن نقبل ما يُوصَف هو به ليكون وصفًا لنا، لأننا مظهرُ ذلك الشعور من خلاله، فشعورُ الرحمة والتعاطف مثلًا موجودٌ بوجوده أو بعدم وجوده، غير أن ذلك الشكلَ الخاص به هو من نتاجِ إرادته، وبالتالي نحن موجودون وغير موجودين في نفس الوقت.

الرحمة موجودةٌ منذ خلق الكون، ولكن هذا الشكل الخاص بهذا الإنسان النائم الآن من الرحمة لم يكنْ ليوجد لولاه، وبالتالي حين يُوصَف شعورُه بالرحمة بأنه صادقٌ أو كاذب نقبل أن يلصق الوصف بنا إلا أنه في الحقيقة وصفٌ لمن يمارسنا.

حين انسلختُ عنه؛ كنت أعرفُ أنه يجب أن أسرع، فالاختبار

يأخذ وقتًا وعليَّ أن أعود قبل أن يستيقظَ، ولكني جلست قليلًا لأفكر في هذه الخطوة و أثرها على حياته؛ أعرف أن لي دونًا عن بقية المشاعر وضعي الخاص، لأني أوضحُ من يحددُ صدقَ أو ادعاء من نتقاسم معيشتنا معه.

تأملتني الشفقة و اقتربت مني حين هممت بالقيام واستوقفتني، سألتني، هل قررت أن أقوم بالاختبار؟

أجبتها بأني لا أستطيع التأجيل أكثر من ذلك، لو كان الشعور خالصًا خاصًّا بي لما اهتممت ولكن هناك غيري في الأمر.

سألتني سؤالًا يعكس طبيعتها؛ ألا تخشى أن تُلام؟

أجبتها و أنا أشعر بالابتسام الذي لا أعرفه، أنه شيء طبيعي، قد اعتدت عليه.

لم أنتظر لتسألني عن كيف أتعامل مع شعورِ الكره تجاه وجودي لأن إجابتي لم تكنْ لتعجبَها، في الحقيقة إجابتي لم تكنْ لتعجب أحدًا، لأنها طبيعتي.

فطبيعتي تجعلُ من الطبيعي أن يكرهني الجميع.

حين وصلت للمختبر وجدت الحبَّ ينتظر بقلق، سألني لماذا تأخرت، ولكني كنت أعرف أني بالفعل متأخرٌ لذا طلبت منه أن لا نضيع وقتًا أكثر خوفًا من أن يستيقظ.

يجب أن لا تتعبوا أنفسكم بمحاولة تخيل مكانٍ و أبعاد و اتجاهات و أين نحن، فالحروف المناسبة لشرح فيزياء كوننا لم

تُخلَق، ولن تخلق لأن مكاننا ليس هو المهم لكم.

لذا حين أقول جلسنا في مواجهة بعضنا البعض فلست أعني الجلوس بشكله المعتاد لكم، فقط تقابلنا وجهًا لوجه حيث نختبر صدقَ من أوجدنا في مشاعر الحب الخاصة به.

لعلكم تتساءلون الآن عمن أكون وما هو دوري في قياس صدق الحب؟

أنا الكره...

أجل، لا تحتاج لتتأكد من الكلمة، هي صحيحة، أنا الكره الذي يحدد مقدارَ صدق الحب، وليس كما تظنُّ أنه ليصدق الحب يقل الكره، العكس تمامًا هو الصحيح؛ كلما صدق الحب صارَ وجودي أكثر وضوحًا.

فمن يحب يكره كل شيءٍ غير ما يتسقُ مع هذا الحب، كلما يحبُّ أكثرَ يكره أكثر حتى لا يصير هناك فرقٌ بيني وبين الحب.

لا يعرف بي إلا من يحب بصدق، لأنه حينها سيشعر بحقيقة وجودي في حياته وأهمية هذا الوجود.

دائمًا ما أبدأ في شكلٍ مناسب لمن يحب، فهو يكره أي شيءٍ غير من يحب، أو أي شيءٍ يبعده عن من يحب، في البداية يظن أن الأشياء التي يكرهها تتجسدُ في أشخاصٍ وأشياء وموا قف غير من يحب، وهذا ما يجعلني شعورًا متسقًا داخله بدون أن يجعله يشعر بتناقض، فمن يحبه واضح وما يكرهه واضح.

لكن تبدأ المشكلةُ حين يتحول الحبُّ بداخله من حب للشخص أو الشيء إلى حب للمعنى الذي خلقه هذا الشخص أو هذا الشيء، وبالتالي من يخرج عن معاني صور الحب هذه يدخل في عالمي؛ عالم الكره.

وهنا تأتي المعضلة، التي لا حلَّ لها سوى بأن نلجأ لاختبارِ صدق الحب، يمكنُ وضع هذه المعضلة في عبارة بسيطة، كلما زاد صدق حبك كلما زاد مقدار كرهك للشخص موضع هذا الحب، لأنه لم يعد مناسبًا للمعاني التي صرت تحبها في الحب.

لذا إذا كان وجودي مبررًا بصدقِ الحب فإن النتيجةَ المحتومة هي نهاية هذه العلاقة، فالوصول لصدق الحبِّ أمرٌنادرلذا من المهمِّ لي أن أساعدَهُ على المحافظة عليه بأن أحميهِ ممنْ لا يرقى لما وصل إليه.

أعلم أنه من الصعب أن يفهم أحد أهمية وجودي في حياة من يحب، فأنت حين تكره تصفي حبَّك لمن يستحقه بدون شوائب.

هذه التصفية تعني في حقيقتِها أنك ستترك شيئًا ما أو شخصًا ما ولكنك لن تخسره أنت سترتقي، لذا وجودي مهم لرقيك، حتى وإن كرهني الناس.

ولهذا يشعر الحب نحوي دومًا في مثل هذه اللحظات بالحزن، يسألني في كل مرة، لماذا تفعل ذلك من أجلي؟

فأنظر إليه وأجيبه مبتسمًا من قال أني أفعل هذا من أجلك؟ أنا أفعله لأني أساعدُ من عُرِف بك لأن يعرفَ أكثر من مجرد مظهرك،

وبالتالي سيقترب مني يومًا ما، فأنا أكثروضوحًا خلف كل مظهر.

أنا أفعل ذلك من أجل نفسي، فيومًا ما سيعرف أنه لولا الكرهُ ما صدق الحب...

27– أريد أن أبكي!

يبحث بداخله عن ما يجعلني أنسل بعيدًا عنه، لعلي آخذ معي ذلك الحزنَ الذي أحاط بعالمه و أبعد به بعيدًا بعيدًا.

ولكنه جاهلٌ بحقيقتي، فما خُلِقت لكي أزيل الحزنَ ولا لأعبر عنه ولا لأكون الخلاصَ للتخفيف عنه.

أنا قصيرةُ العمر، نادرةُ الذكر، لا يعرف بي أحد حتى وإن تعايشت مع جميع من في الأرض.

لم يحاول يومًا أن يسألني لماذا أنا معه؟ ربما لأنه يراني تابعًا بلا إرادة.

ولكنه معذور لأني حين أُولَد أموت فلا أجد وقتًا لأحكي عن نفسي.

كما أني حين أظهر للحياة أرتبط بما هو أقوى مني، فأصبح تابعة لما هو له تابع. فأنا مرتبطةٌ بالحزن أو السعادة أو غيرها من المشاعر، فلا يوجدُ ما يربطني به مباشرةً لكي أستحق منه وقتًا ليراني على حقيقتي.

وإن كان يؤلمني أنه لا يتذكرني أحدٌ رغم أن الجميع يتذكر ما أفعله في حياتهم، إلا أن ما يؤلمني أكثرَ أنه لا يوجد من يسعى إليَّ لذاتي.

لا يوجد من يريدني لما أنا عليه، بل إني في أحيانٍ كثيرة أكون زائرًا لا يريد منه أحد أن يستمر طويلًا، يريدون مني أن أختفي سريعًا.

اسمي ارتبط بالكفكفة؛ ما يجب أن تكفَّ عن فعله، ما يجب ألا تتمادى فيه، لأني دليلُ ضعف، ولا يوجد من يريد أن يكون ضعيفًا.

غريبٌ أمر من يريدني ولكنه يريد أن يتخلصَ مني سريعًا، أن أكون في الخفاء، بعيدًا عن الأعين، أن لا ير اني غيره، رغم أنه لا يعرف بحقيقتي.

هل تعرف الآن لماذا أريد أن أبكي،

أريد أن أبكي بإرادتي لأكون نفسي، لأبصرَ حقيقتي كدموع جرت من حقيقة وليس من وهم أو خوف أو ضعف أو حزن،

أريد أن أبكي لأبصرَ نفسي كما أعرفها وليس كما يراها غيري تابعةً له،

أريد أن أبكي لأتذكر من أنا، لأتعرفَ على نفسي من جديد. يقتلني ذلك الشعوربأني مسؤول عما أنا فيه مع عدم فهمي لما أنا فيه.

أريد أن أبكي نفسي من نفسي لنفسي، لأبصر ماء حياتي في دمعتي قبل أن تفنى وتصبحَ دمعته...

09– الوحدة

تسير خطواتي بين أصوات من حولي بدون أن أستمعَ لفحوى تلك الحروف التي تتناثر من حولي.

هذه الحروف ليست إلا أصواتًا تأخذ حيزًا يضيقُ في كل لحظةٍ يفتح فيها شخصٌ غريب من حولي فمه.

فالحروف مخلوقات لها حضورٌ لا ندركه إلا حين نبدأ في سماع أصواتنا الداخلية، حينها نشعر أن حديثَنا الشخصي مع أنفسنا يختنق بوجود خارجي يحيط به ويتطفل عليه.

هل تعلم ذلك الشعورَ بالاختناق الذي يفاجئك حين تكونُ وسط الآخرين رغم أنك قد تكون في حالة سعادةٍ وتشاركهم الضحكَ، إلا أنك فجأةً تشعر بأنك تريد أن تبعدَ وتكون وحيدًا أو تذهب للحمام بدون أن يكون لديك سبب، أو تتذكر شخصًا غير مهم ولكنك تقوم لتتصل به بعيدًا عن الجمع الذي تجلس معه.

في الحقيقة أنت تعاني من تزاحم حروف الآخرين حول نفسك فتمنعكَ عن سماع صوتك بداخلك وبالتالي تواصلك مع ذاتك يقل، نقص التواصل مع الذات يشبه نقص الأوكسجين عن أجهزتك الحيوية، لا تموت بسببه ولكنه يجعلك غير مرتاحٍ فيما تفعله وتشعر أنك تريد أن تبحث عن شيء لا تعلمه يجعلك أكثر راحة.

ولا تتعجلْ لتقُول إن الحل في الوحدة، فالوحدة ليست إلا وهمًا، لأنك في الحقيقة لا يمكنك أن تكون وحيدًا في أي لحظة في حياتك،

فهناك ذاتك التي تتحدث معك، تلك الأصوات التي نسميها أفكارًا أو مشاعرَ أو ظنونًا... إلى آخر تلك المسميات لحالة التواصل التي تحدث بينك وبين ذاتك، والتي تجعل معك وجودًا آخر غيرك حتى لو ظننت أنكما شيءٌ واحد.

سأقابلها اليومَ، ولكني لا أعرف لماذا تختار تلك الأماكن التي تتكاثر فيها الحروف بلا نهايةٍ وبلا إدراك من الآخرين أنها تؤذي من حولهم.

حين وصلت أشارت إليَّ لأجلس أمامها، بجوارنا تجلس فتاتان تلقيان الحروف بدون وعي، ولكني أشعر بالمكان مخنوقًا قبل أن أجلس.

لاحظت ترددي فأشارت بعينيها أن أجلس ولا أتردد، حاولت من قبل أن أشرح لها ما أعاني منه ولكن كان صعبًا عليها أن تتفهم معاناتي؛ بالنسبة لها كل كلامي يعكس حالةً من الترف.

لكي أكون منصفًا كيف يمكنها أن تستوعب ما أحكي عنه وهي صماء؟!

لديها فقط نفسها لتسمعها، ربما تلك الحروف التي تتزاحم حولي هي ما تتمناه في حياتها، شرحت لي يومًا أنها لا تعرف كيف تحدد ما تسمعه بداخلها؛ هل هو في الحقيقة صوتٌ أو مجرد إيقاعٍ يتكرربدون ملامح تجعل لأي لحظة قيمةً مختلفة عن سابقتها، كلمة ايقاع هذه من عندي لأنها في الحقيقة لا تعرف ما هو الإيقاع، فقط شيء يتكرر.

في ذلك اليوم عرضت عليها عرضًا، سأعطيها أذني لتفهم ما

أقصد، ضحكت وأشارت لي أن لا ألعب بمشاعرها، ولكني أخرجت إيصال الدفع للعملية التي ستنقل طبلة أذني لأذنها.

بكت من الفرحة وعيناها تسألانني لماذا؟ أجبتها بصراحة أن الأمر لا يتعلق بالحب، ولكني بالفعل أريد منها أن تتفهم ما أعاني منه، أخبرتها بصراحة أن ما أفعله بالنسبة لي هو عقابٌ لها، ولكنها ضحكت، فأكملت أن معرفتي أنها تريد ذلك هي ما تجعلني أقوم به.

في اليوم المحدَّدِ للعملية كان الجميع سعيدًا لها وحزينًا عليَّ، ولكنهم لا يعلمون ما سأستريح منه، أولعلي أنا من لا يعلم ما سأفتقده؟

لحظتها لم أكن مهتمًّا، حتى وإن لم تتفهم ما أقصده أو وجدت نفسي خسرت ما لم أعرف قيمته في النهاية، قراري حينها كان مرتبطًا بمقدار معرفتي، فلم أكن لأندم على شيء لم أعرفه ولم أكن لأهتم لو لم تستفِد كما أريد لها أن تستفيد.

مر على العملية الآن أكثر من عام، وها هو يجلس أمامها، ما زال مصرًّا على أنها الآن يمكنها أن تتفهم ما كان يعنيه، ولكنها ما زالت تجيبه بنفس الإجابة، هي لا تعلم ما الذي يقصده، هي لا تشعر بأي اختناقٍ من حروف الناس حولها، وما زالت تحب الجلوسَ حيث الناس والأصوات مرتفعة.

لا تشعر بحاجةٍ أن تبعد لتستمع لنفسها.

بعد كل لقاء يغادر بنفس الشعور بالهزيمة، أو ربما لا يشعر بشيءٍ لأنه لم يعدْ يسمع شيئًا، وما زال محتفظًا بذكريات مشاعر من مخزون الأصوات التي عاشها قبل العملية، لا أعلم، ربما؟

لا أعلم عنه شيئًا، ولكني أعلم عنها أنها تكذب عليه.

لماذا تكذب عليه؟

لأنها تعيش ما حذرها منه، هي فقط تقابله في نفس الأماكن التي اعتادت أن تقابله فيها قبل العملية، أما حين لا تكون معه فهي تتجنب الآخرين، تهرب لوحدتها أو هكذا تظن.

بعد العملية هالها ما تعرضتْ له من أصوات الآخرين، وجدت نفسَها تختنق جسديًّا وليس فقط نفسيًّا.

أخذت تلعنه في حديثها معي، ولهذا لم تكن تريد أن تعطيه إحساسًا أنه كان صادقًا، كانت تريده أن يعاني كما تعاني هي، تريد أن تنتقم منه.

من أنا؟

أنا من كان يحدثني قبل أن يهجرني ويهبني لغيره، أنا الآن بوابة صوتها الذي يحدثها، من كنت مغلقةً طوال حياتها وأعطاني لها ليدخل الصوت لعالمها...

أما هو فلعله صار يعرف ما هي الوحدة أخيرًا...

32– اجلس لتعلم

هل تعلم من أنا؟

اجلس واسمح لي أن أعلمك...

هل تعلم أن الزمنَ الذي تحسبه يسير للأمام من ماضٍ لحاضر لمستقبل هو في حقيقته ينحني في حركته، وبالتالي بقدرٍ مناسبٍ من الطاقة يمكنك أن تتحركَ في الزمان بسهولة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل؟

لو كنت لا تعلم فهذه فرصةٌ لأن تعلم...

ثم هل تعلم أن في ذلكَ السيرِ المنحني للزمن يوجد بابٌ سريٌّ يجعل لمن يبصره القدرةَ على العبور منه ليجلس ويتأمل تحركه والكون من حوله في الزمان، فهو لا يوقف الزمان، هو فقط يمتلك نافذةً ير اقب منها نفسه وكونه من حوله في سيرهم مع الزمان؟

لو كنت لا تعلم فتخيل أنك تعلم...

لهذا، هل تعلم أنه حين تجلس لتر اقب سيرك في الزمان ستتمكن من أن تصدرَ أوامرك لمن يتقاطعون معك في مسار حياتك في زمنك فتؤثر على قراراتهم في مسارات حياتِهم في أزمانهم، فقليلٌ من الناس من يستطيع أن يجد ذلك الباب السري للزمن و أقلُّ منهم من يريد أن يأمر الآخرين ليتحكم في مصائرهم؟

لو كنت لا تعلم فاشعر بأنك تعلم...

هل تعلم أن الذين يعطون منهم تلك الأوامر لمن يتداخلون في مسار حياتهم لا يفعلون ذلك بشكلٍ واضح، هم يهمسون، فهم لا يريدون أن يعرف الآخرون بوجودهم، حتى لا ينتشر السرُّ، فيسرون أوامرهم بلا صوت مسموع ولكن بإلقاءٍ في خيال محسوس، فحين يأتيك الأمر منهم تشعر أن وحيًا قد أصابَك أو إلهامًا قد نبع من داخلك؟

لو كنتَ لا تعلم فآمن أنك تعلم...

هل تعلم أنهم حين يهمسون لك بأوامرهم تؤمن أن ما ستفعله هو نابع منك، يعبر عنك، ولا دخل لأحدٍ في قرارك، فتصبحُ بداخلك تلك القناعات التي تجعلُ من الخيال والشعور والإيمان علمًا، فتصبح عالمًا بنفسك، وعاملًا بما تعلم؟

أعتقد أنك تعلم الآن من أنا، أليس كذلك؟

فهل تعلم ما تعلم؟

24– نفس المكان

بجوار منزلي شارعٌ يشبه أي شارعٍ آخر، يشبه الشارع المجاور لمنزلك، ذلك الشارع الذي لا بد أن تسيرَ فيه حين تغادر بابَ بيتك وحين تعود له، يمكنك أن تتفاداه بأن تسير في الاتجاه المقابل وستصلُ لنفس النقطة، إلا أنك تقنعُ نفسك أن هذا هو أقصر طريقٍ لتلك النقطة، رغم أنه فعليًّا ليس كذلك، إلا أنك ما زلت مصرًّا على أن تلجأ إليه كلما ظننت أنك تريد أن تكسب وقتًا.

هذا الشارع أسير فيه كل يوم وأراه كل يوم، لا يأخذ مني عبوره إلا دقيقةً أو أقل، لذا أحسب أني أعرف تفاصيله، و أنت كذلك تظنُّ مثلي.

إلا أنه في ذلك اليوم بدأت أنتبه أني لا أعرف تفاصيلَ ذلك الشارع كما كنت أعتقد، كنت أظنُّ أن هناك ثلاثة بيوت تحتل امتداده فاكتشفتُ أنهم أربعة، فوجدت نفسي أتوقف فجأةً و أتلفت حولي لأتأكد أنه نفس الشارع، لعلي أخطأت الطريق، إلا أن في نهايته كان مدخل بيتي وبالتالي هو نفس الشارع.

في عودتي بدأت أنتبه للمزيد من التفاصيل: عدد الأشجار، ألوان إنارة الشارع، أنواع السيارات.

في اليوم التالي بدأت أنتبه لتفاصيل أكثرَ، ثم أكثر، ثم أكثر، حتى صرت في كل مرةٍ أعبر فيها الشارع أرى تفاصيلَ لا تنتهي كما لو كان الشارع يُضاف إليه المزيد من التفاصيل حين أغادرُه لأكتشفها حين

أعاود السير فيه.

ثم زارتني هذه الفكرة؛ هذا الشارع يتغير، يتغير في كل لحظةٍ، فهذه التفاصيل ليست إلا تعبيرًا عن تغيرات تنمو في جسد الشارع، فهو ليس نفس المكان بعد مرور لحظةٍ من عبوري...

أعلم أنها فكرة فلسفية قديمة تعبر عن عدم وجود تكرار في الحياة، كل ما تراه كأنه نفس الشيء هو في الحقيقة يتغير، حتى وإن لم ترَ أن بداخله ما يجعله ينمو فإن ما حوله في الكون يجعلُه يتغير، فالتغير بسبب ما يحدث حولَه هو في النهاية شكلٌ من أشكال النمو.

فهذا الرصيف الذي أسير عليه كلَّ يوم إن لم يكن خلف صلابته وجود ينمو فهو على الأقل يتأثر بملامسة نعل حذائي ويتغير.

ولكن هذه الفكرة ليست هي ما يدفعني لأكتبَ هذه السطور، فبمرور الوقت ستجد أنت كذلك أن هذه الفكرة فكرةٌ طبيعية وليس بها شيء من الغرابة، تمامًا كفكرتك الأولى أن الشارع هو نفسُه لا يتغير.

ما دفعني لأحكي لك هو أنه بمرور الوقت وبعد ملاحظاتي لتفاصيل الشارع وكيف تتغير ويتغير هو معها وجدت نفسي مهوسًا بفكرة أن هناك شيئًا واحدًا لا يتغير، ليس لأني وجدت شيئًا لا يتغير ولكنه ذلك الخيال الذي يربط الأفكارَ بطريقةٍ تجعلك تؤمن أن ما تعتقده لا بد أن له وجودًا في الحقيقة فتبدأ بالبحث عنه ولا تتوقفُ عن البحث عنه رغم أنه قد يكون بالفعل لا وجود له في الحقيقة، إلا أنه من قوته يجعلك تعيدُ النظرَ في الحقيقة نفسها لتتلاءم مع

وجودها في الو اقع.

هل تجدها فكرةً صعبة على فهمك، أنت تعيشها كل يوم، مثلًا حين تقنع نفسك أن هناك في مكان ما يوجد ذلك الحب الذي لا تستطيع أن تعيشَ بدونه، فتبحث عنه، وتلقي بمواصفاته على كل من تظنُّ أنه مناسب له، ثم لا تجده فيه، فتبحث عن غيره، وتستمر تبحث حتى تقتنع أن الكونَ يخفيه عنك رغم أنه قد لا يكون موجودًا ولكنك لا تستسلم، وتبدأ في خلق تفسيراتٍ مختلفة لحقيقة الوجود رغم أنه من الأسهل لك أن تغير فكرتَك الأولى عن الحب.

الآن هل ترى كيف بدأنا و أين انتهينا؟

بدأنا بأننا في نفس المكان بدون أن نرى تغيره، ثم صرنا نراه يتغيرُ بدون أن يبقى شيءٌ على حاله لحظة بعد أخرى ثم الآن صرنا نبحث عن تلك الفكرة بأن هناك شيئًا ثابتًا لم يتغيرْ في ذلك الشارع ككل شيء حوله.

أخذنا نسيرُفي الشارع كل يوم، لحظةً بعد أخرى، نبحث عن ذلك الشيء.

استبعدنا البشروالحيو انات والحشرات والنباتات، لأنها بطبعها تتغير.

استبعدنا الأبواب والسيارات وأسفلت الطريق وجدران الحو ائط، لأنها لا ريب تتأثر بالطبيعة من حولها.

توقفنا عند أي شيءٍ مُهمَل أو مُلقى، ر اقبناه وتأملناه وعلقنا

عليه أمالنا ولكنه مهما طال الوقت يتغير ويرحل.

حاولنا أن نتحايل على الحقيقة، قلنا أننا نظلم ما نبحث عنه إن بحثنا عنه في الطبيعة لأن ظروف تغيرها ستغير أي شيءٍ، لذا أخذنا نبحث عن الأشياء المحمية داخل أجسام تمنع عنها الطبيعة؛ تلك النظارة الملقاة في سيارة لا تتحرك، ذلك المظروف القابع داخل صندوقِ بريد هذا البيت الذي لا يقطنه أحد، ما تبقى من مشروبٍ داخل تلك العبوة المثبتة في ذلك الجزء المكسور من حائط ذلك البيت...

لم نعدْ نبحث عن الأشياء الظاهرة، تعلقنا بالأشياء الكامنة داخل كل ظاهر، ومع كل شيءٍ جديد نحسب أننا اقتربنا أكثر من التعرف على ذلك الشيء الثابت الذي يؤمن عقلنا بوجوده، ومع كل لحظةِ ترقبٍ للنجاح تأتي مباشرةً لحظة خيبة الأمل.

لا شيء ثابتٌ في هذا الشارع...

حين وصلت لدرجة من اليأس جاءني ذلك الكشف الذي من أجله أكتب هذه السطور؛ لا شيء ثابتٌ لأنني أنا من يتغير وليس لأن الأشياء تتغير.

مرت عليَّ أعوام وأنا أراقب هذا الشارع، شاركتني في بعضها ولكنك كما تراني الآن لست نفس الشخص الذي بدأ هذه الرحلة، هذه الرحلة ما كان لها أن تبدأ لو رأيت ما يطرأ عليَّ من تغير في كل لحظة.

لست أقول بأن الشارع لم يتبدلْ، ولكني أعرف الآن أنه لم يكن

ليتبدلَ بالنسبة لي لو لم أعرفْ ذلك، وتبعًا لذلك تغير معرفتي هو ما يجعلُه متغيرًا، وتغير معرفتي لا يرتبط به فقط ولكن يتأثر بتغيري أنا أولًا قبل كل شيء.

لذا لكي أجد ذلك الشيء الثابت يجب أن أتوقف عن أن أدركه بنفسي المتغيرة، يجب أن أتوقف عن معرفته.

لذا فالجاهل في نعمة، كل شيء حوله ثابت، كل شيء حوله نفس المكان، كل شيء هو هو بدون أي تغيير.

لا تفهمني خطأً لست نادمًا على وقتي الذي قضيته لكي أصل لهذه المعرفة، ولست مستعدًا لأن أكون جاهلًا، أنا فقط أحكي لك لتعرفَ مثلي ما عرفت.

غير أن لديَّ هذا الخيال الذي يربط بداخلي كل تلك الأفكار فيخلق هذه الفكرة الجديدة، إن هناك حالةً تجعلني أرى كل شيءٍ ثابتٍ بدون أن أخسر معرفتي للجهل.

لا تقلقْ، لن أقضي عمرًا آخر للوصول إليها، لقد عرفتها بدون أن أبحث كثيرًا؛ إنه الموت.

حال الموت هو المرادف لحال الجهل من حيث رؤية الثبات في كل شيء، كل شيء هو نفسه، المكان نفسه لا يتغير لأني لا أتغير، حين أكون ميتًا لن يتغير شيءٌ من حولي، لأني صرت في ثباتٍ لأني لم أعدْ منتميًا لأي شيئًا من حولي...

أعتقد الآن أنك أنت قد فهمت لماذا أكتب لك هذه السطور...

أريد منك حين تبحث عني،

أن تتأكد أني في نفس المكان...

30– ما قبل الخيانة

أتذكر تلك اللحظة التي سبقت الخيانة، أتذكرها جيدًا لأنها كانت آخر لحظةٍ في حياة الوجود من حولي كما أعرفه.

كنت أُمَني نفسي أن الحياة ستستمر هكذا بلا نهاية، لا يوجد شيءٌ سيء يجعل أحدًا من أطر افها يحاول تغييرها.

لماذا يريد أحد أن يأتي بمشاعر أُخرى غير مشاعر الحب والراحة والسعادة؟

في تلك اللحظة تجمعت لديَّ كل المعطيات التي جعلتني أؤمن أني قد بلغت اللحظة التي ستدوم للأبد.

ثم خُلقت الخيانة...

لكي أكون صادقا في وصفي ولتتخيلوا معي حقيقة ما حدث، لا يمكنني أن أستخدم حرف (ثم) لأنه حدث بدون فاصل زمني بين شعوري أني بلغت أوج قوتي في هذه العلاقة وبين صدمتي حين خُلقت الخيانة.

لماذا أطلق عليها لفظ خُلِقت، لأنها ظهرت في الوجود حولي من عدم، بدون معطيات تجعلني أتخيلُ أنها نتيجة لها، كغيرها من المشاعر توقعت أن أرى لها بداياتٍ، وأن تنمو تحت عينيَّ وأر اقبها و أنتبه لها، إلا أنها وُجِدت كما لو كانت تعبيرًا مباشرًا لمعنى كن فيكون...

حين خُلقت لم تعد حياتي كما كانت من قبل وجودها، ليس لأنه من الصعب أن أتعايش مع مفهومها أو مع تبعاتها أو مع محاولات التخلص من آثارها ببناء حياةٍ جديدة، أنا قادر على كل هذا ولهذا أشعر أني قادرٌ على أن أُولَد من جديد في نفس تلك العلاقة مرة بعد أخرى، إلا أني الوحيد الذي يعرف أني لن أصل لنفسي التي شعرت بها في تلك اللحظة التي سبقت خلقَ تلك الخيانة الأولى.

فأنا مهما حدث بعد تلك اللحظة لن أعود لها، فطبيعتي تجعلني ماضيًا سابقًا ولا يعود مهما حاولوا.

فأنا تلك الثقة التي ستظل دومًا تسبق الخيانة ولا تأتي بعدها مرةً أخرى...

21– اخلقني

أنا عدمٌ بالنسبة إليك حتى تعرفني، فإن عرفتني فأنت تُوجدُني في حياتك فأُخلَق لك.

هذه قاعدةٌ تحتاج منك أن تتخيل أنك ستتوقف الآن عن قراءة حروفي للحظاتٍ لتبحث بداخلك عما تعرفه عني، لتجدَ أني غير مُعَرّف لك، ليس لي كيانٌ أو صفة أو شعور يحدد تعاملك معي، ليس لي وجود.

أنت تجهل بوجودي، وجهلك بي يجعلني عدمًا في حياتك، رغم أن لي حياةً خارج علمك إلا أنها لا قيمة لها بالنسبة لك.

تخيل الآن أنك عرفت بوجودي، بدأتْ تتجمع لديك تفاصيلُ عني، لو أبصرت كيف بدأت تلك المعرفة، وكيف تتطور ستجد أنك تخلقني بداخل كونك وجودًا جديدًا لم يسبق لك أن عاينته من قبل، كالطفل الوليد حين يراقبه أبواه، يتأملان ملامحه، يتحسسان بشرته، يعطيانه اسمًا، يتبنون شعورًا، يخلقان له وجودًا مُعَرّفًا في حياتهما.

هكذا أنا بالنسبة لك، رويدًا رويدًا أنمو بداخل وجودك لأن معرفتك بي تنمو.

كل لحظة إضافية في حياتك تضيف معرفةٍ جديدة عني فأنمو بعيدًا عن تلك اللحظة الأولى وبعيدًا عن العدم.

تخيلني و أنا أنمو بداخلك، ستتفاعل معي بشكل يختلف لحظةً

عن أخرى بتطورهذا النمو.

ولن أتوقف عن النمو إلا حين تتوقف عن التعرف عليَّ.

سأصل لتلك اللحظة التي تظن أنك قد عرفت عني كل شيء، حينها لن تهتم بأن تبحث عن شيء جديد عني، ولا أن ترى أي شيء يحدث لي أنه يستحق أن يجعلك تسمح لي بنموٍ جديدٍ يأخذ حيزًا إضافيًا بداخلك، ستكتفي بأن تضع كل ما يقع في طريقك من معرفة عني تحت نفس المسميات التي تعرفها عني من قبل.

سيتوقف نموي، لن أموت، لأن المعرفة لا تموت وبالتالي وجودي لن ينمحي من حياتك، فقط لن أنمو.

ستنمو أنت بكل تأكيد، ولأني من دخلت حياتك بخلقك لي، سأظل تابعًا لك، وبالتالي ستنمو معرفتي بك بدون توقفٍ، وسينمو وجودك، ولكني لن أضاهيك في النمو، لأنك لا تسمحَ لي بداخلك أن أصبح وجودًا يختلف عما اعتدتَ عليه.

لا تفهمني خطأً فأنا لا ألومك على شيء، فهذه طبيعة المعرفة والخلق، كلنا سنصل لتلك اللحظة التي نريد أن نخلق شيئًا جديدًا من العدم، لنختبروجودًا لم نعرفه من قبل.

غير أن تلك اللحظة التي نقرر أن نتوقف فيها عن إعطاء من نعرف من قبل الفرصةَ لينمو تختلف من إنسانٍ لآخر؛ بعضنا ينهي نمو ما يخلق بمجرد خلقه، وهناك من يحافظ على نموه فتراتٍ أطولَ تتفاوت بتفاوت درجة الاهتمام النابع من الحب، فإن أحببت فستدوم رغبتك في المعرفة أطول لأنك مهتمٌّ، وبالتالي سينمو من

خلقت بما يتلاءم مع نموك أنت بالنسبة له.

ولكن الحب موضوع آخر لا تشغل به بالك الآن، لا أقول أنك لا تحبني لهذا لم تعد تهتم بنموي، ولكني فقط أحكي لك لتتفهمَ طلبي منك.

طلبي منك يخالف كل ما قلته سابقًا، يخرج بك بعيدًا عن المنطق الذي قد أسسته لك لتفهمَ ما بيننا، ولكني أريد منك أن تثق بخيالك لتحققَ لي مطلبي الأخير.

أريدك أن تعيدني للعدم...

لا، لا أريد منك أن تنساني، أريد منك أن تجعلني لك عدمًا كأني لم أكن.

قد يبدو الأمر صعبًا أو غير قابلٍ للحدوث، ولكني أعرف أنه ممكنٌ لو أردته أنت.

عليك أن تعود وتفككني من جديدٍ، لا تبصرني كمًّا واحدًا، أريدك أن تدركني كما أوجدتني، أجزاءً صغيرة بعضها يتجاور مع بعض، أنت من ربطت بين تلك الأجزاء لأنمو كما تعرفني الآن، أريد منك أن تعود لما قبل الآن بلحظات عديدة.

ولتجعلني عدمًا تحتاج أن تدركني بلا ملامح أو تعريف أو تحديد ليصبح سهلًا عليَّ أن أنسل من دائرة علمك إلى فضاء العدم خارجها.

لن يكون الأمر سهلًا ولكنه ليس مستحيلًا...

ما يربط بين أجزاء معرفتك بي هو مشاعرك التي تولدت عن تلك المعرفة وجمعت بين متفرقاتها؛ فشعورك بالراحةِ معي هو ما جمع معرفتك بالأماكن التي أحبها والتي أتواجد فيها لتكونَ معي وبين الأوقات التي تناسبني لكي تختارَها وبين الحوارات التي تعرف أن حديثنا عنها يمكنه أن يدعم ذلك الشعورلديك وهكذا...

حين تتخلص من تلك المشاعرِ يصبح الأمر سهلًا لتفكيك تلك المتفرقات المعرفية، وبعدها ستجد تفاصيلي تضمر من وعيك، لأنها تنسل للعدم جزءًا بعد الآخر.

سيحتاج الأمر وقتًا ولكنه لن يثقلك بأي مجهودٍ، لأنه سيحدث منك بتلقائيةٍ، لأنك بالفعل تفقد مشاعرَك تجاهي واحدًا بعد الآخر.

غير أني أحتاج منك أن تتجنب شعورًا واحدًا، لأني أعلم أنه سيأتي إليك متسللًا كالشيطان؛ يوسوس لك أن تتوقف عما تفعل، فاحذرمنه لأنه لن يضيفَ لوجودنا شيئًا، بل سيجعلنا نتوقف سويًّا عن النمو.

لا تشفق عليَّ، أو تشعر بالذنب أو الندم لتمزيقك لوجودي بداخلك بهذا الشكل، الشفقةُ ستجعلك تفكر أن تتوقف، أن تحاول أن تجمعني من جديد، ستَدّعي أنك قادرٌعلى أن تعطيني نموًّا مختلفا لا يجعلني أنسل إلى العدم، ولكن هذا وهم، فعودة النمو لما توقفت عن الاهتمام به شبه مستحيلة وأصعب مما أطلبه منك الآن.

الشفقة ستعطلك عن ما أريد، فعدمي هو طريقي لما أريد، ولكن إن أوقفتني حيث تريد الشفقة، فلا أنا سأصل و أنت لن تنمو.

لذا انتبه، لا تشفقْ على وجودي. لأني حين أعود للعدم حيث كانت بدايتي معك،

أريد منك شيئًا مختلفًا تمامًا عن الشفقة؛ أريدك أن تخلقني من جديد. أجل أن تخلقني من جديد...

أعلم أني أغامر بكل شيء بطلبي هذا، فقد أخسر ما لدي من وجود في علمك حتى وإن كان لا ينمو للأبد فإنه يظل وجودًا مقارنة بالعدم، لأني حين أصيرُ في العدم ما الذي يضمن أنك ستعترف بي مجددًا لتخلقني؟

لا شيء...

غير أني في العدم سيعود لي ذلك الشيءُ الذي لم يعد ممكنًا أن أحظى به في حالي الآن...

في العدم سيعودُ لي الأمل أنك ستعرفني يومًا ما وتخلقني من جديد... هذا الأمل هو ما أريد. حتى وإن لم تخلقني مرةً أخرى، بهذا الأمل سأخلق وجودًا ينتظر حتى تعرفني وتخلقني...

فاجعلني بالأمل أنتظرك لتخلقني،

فاخلقني...

04– افتح عينيك

هل سألتَ نفسك يومًا ما الذي يمنعك من أن تفتح عينيك و أنت نائمٌ حين تدرك أنك نائم؟

حين تجدُ نفسك في مكان أو زمان مختلفٍ عما أنت معتاد عليه فيثير بداخلك شكًّا في أنك لست في حياتك التي تعرفها وتقرر أنك في حلم و أنك نائم.

في هذه اللحظة ما الذي يمنعك من أن تفتح عينيك ويجعلك تستمر في الحلم؟

بدايةً، وقبل أن تجيب، هل سبق لك يومًا أن استيقظت فجأة في وسط حلمٍ وتذكرت تفاصيله كاملةً؟

لا تتعب نفسك في التذكر فهذا لم يحدثْ من قبل، لأنك حين تستيقظ فجأةً لن تتذكر إلا ما تظنُّ أنه الحلم كاملًا، ولكن هناك تفاصيل لن تتذكرها ولن تعرف بها، وربما هو شيء آخر غير ما تتذكره لأننا في النهاية لا نريدك أن تستيقظَ قبل أن نكمل ما نقوم به ولا نريدك أن تعرف حقيقةَ ما نقوم به.

لعلي أحتاج أن أعرفك بنفسي أولًا قبل أن أكمل حديثي معك حتى تتفهم أهمية حديثي.

أنا أحد المسؤولين عن بناء ذلك العالم الذي لا تعرفون عنه شيئًا والذي تطلقون عليه عالم الأحلام.

لا أريد أن أعقد الأمر عليك بشروح كثيرة، ولكن يمكنك أن تتصور العالم الذي تعيش فيه والكائنات الأخرى التي تعيشُ معها في هذا العالم وتبادلُها التعامل كل يوم في الصباح والمساء وقبل النوم، هذا العالم يتكون منك ومن غيرك، وما تقوم به كل يوم من أعمال طبيعية بالنسبة لك، ولكن تراكم ما تقوم به مع ما يقوم به غيرك هو الذي يشكل هذا العالم كما تعرفه.

حين تخلد للنوم فأنت تدخل لعالمٍ آخرَ مختلفٍ تمامًا فيه حياة كائنات أخرى تتفاعل مثلك، ومثل من تعرفهم في عالمك، لتُوجد ذلك العالم، فعليك أن تتخيل عالمًا شبيهًا لعالمك، ولكنك لا تعرف عنه شيئًا رغم أنك تدخله في نومك.

لماذا لا تعرف عنه شيئًا؟

لأن عالمنا هنا في حقيقته أكمل من العالم الذي تعيش فيه حين تستيقظ، لذا لا نريد منك أن تعرف عنه شيئًا حتى لا تتمسك به ولا تعود لعالمك، لهذا نخلق لك تلك الأحلام كستار يفصل بينك وبين حقيقة ما يوجد لدينا.

فنحن نريدك أن تعود لعالمك لتشحن تلك الطاقة التي نحتاجها لتستمر الحياة في عالمنا.

فأنت حين تنام تشارك في عالم النوم هذا بما تفرزه من طاقةٍ في نومك، هذه الطاقة هي التي نستخدمها نحن لضمانِ استمرار ذلك العالم الآخر.

أنت الآن في عالمي هذا و أنا من يمنعك من أن تفتحَ عينيك، لأنك

إن فتحتهما ستتوقف عملية انتقال الطاقة منك لأوعية حفظها هنا.

فما لديك من هذه الطاقة لا تستطيع أن تستخدمه في عالمك، ولكننا نحتاجه في عالمنا، لذا حين تنام تنسل من داخلك هذه الطاقة الخاصة بأهل عالمي، فهي لا توجد لديهم ولا يستطيعون الحصول عليها في عالمهم.

أنت قد لا تعرف أنها بداخلك ولكنها موجودة، نحن نعرف كيف نتلقاها منك، ثم نحتفظ بها لإعادة استخدامها هنا.

في نفس الوقت لا تقلق فأنت لن تفقد شيئًا، فطبيعتكم قادرة على إعادة إنتاج ما تفقدونه من تلك الطاقة خلال يومكم العادي.

لأحاول أن أقربها لك بلغة تفهمها، دعنا نسمِّ هذه الطاقة بالنقاء، هذه الطاقةُ هي ما يفتقده هذا العالم هنا ليحافظ على وجوده، أن يجد النقاءَ الكافي لجعله مكانًا قابلًا للمعيشة، أنتم في عالمك لا تحتاجون هذا النقاءِ لأنه غير مناسبٍ لطبيعتكم، ولهذا فمخزونكم منه مرتفعٌ لأنكم تنتجونه بدون أن تستخدموه، وحين تغلق عينيك خلال النوم يصبح من السهل لهذا المخزون أن يخرجَ لأنك تنتقل لعالمي الذي يستطيع أن يتعامل مع هذا النقاء وهذه الطاقة.

ونحن نحتاج منك أن تبقِيَ عينيك مغلقةً أطول فترةٍ ممكنة، لكي نستطيع أن نتم عملية النقل.

لأنك حين تستيقظ فجأةً تقطع عملية تلقي ذلك النقاء الذي بداخلك، ولكي يصبحَ النقاء الذي نحتويه في أوعيةٍ خاصة قابلًا للاستخدام في هذا العالم يجب أن يتم الحصول عليه كاملًا، فالنقاء

لا يتجزأ وإن حدث وتجزأ تموت كل أجزائه.

وخلال أزمان درسنا خصائص هذا النقاء ولماذا لا نستطيع تجزئته، وتوصلنا إلى أن هذا مرتبط بفكرة الصدق.

فلكي نستطيعَ الاستفادة بهذا النقاء يجب أن يكون صادقًا والصدق هو الذي يفرض عليه أن يكون متكاملًا، لذا فأبحاثنا ركزت على أن تجد طريقةً لفصل النقاء عن الصدق وحينها سيمكننا أن نحصل عليه مجزءًا بدون حاجةٍ لأن نحافظ على عيونك مغلقةً.

ويأتي الصدق من اعتمادنا على وقائع حياتك حين خلقنا ستارَ الأحلام ليحجبك عن عالمنا في النوم لنعكسَ جانبًا صادقًا في ما تتوهمه أحلامًا صادقة، فمن هنا تولد عنصر الصدق الذي ارتبط بما تفرزه من نقاءٍ خلال نومك، وهنا المشكلة؛ لأننا لا نعلم ما هو مقدار الصدق الذي تريد أن تراه في أحلامك، ففي بعض الأحيان نخلق لك حلمًا يناسب مشاعركَ فتستغرف في النوم وتكملُه بدون أن تستيقظَ فجأةً وتنقطع عملية انتقال النقاء لأوعيتنا، وتارةً لا تكون نفسيتك مستعدةً للتعامل مع صدقِ ما تراه في أحلامك فتهرب منها لعالمك فتفتحُ عينيك قبل أن نتمكنَ من إتمام عملية الانتقال فتخرب تمامًا.

فنحن صادقون في خلقِ أحلامك ولكننا لا نتحكم في قدرتك على التعاملِ مع هذا الصدق، لذا ما نحاول الوصولَ إليه هو فصل الصدق عن النقاء، بحيث لا ترتبطُ الأحلام بالصدق ولا يتأثر النقاء بوجوده من عدمه.

هل استطعت أن تستوعب أهميةَ نومك لنا وكمَّ المجهودِ الذي

نبذله لنحافظَ عليها مستقرةً؟

وهذا ما دفعني لأحكي لك هذا الكلام، فنحن على أعتاب مرحلة جديدةٍ استطعنا فيها أن نحددَ طريقةً لنفصل الصدق عن النقاء، فلن نعود بحاجةٍ لأن نحافظ على عينيك مغلقةً لترى الحلم كاملًا لضمان سلامة عملية انتقال النقاء منك إلى أوعيتنا.

يمكنك الآن في أي لحظةٍ أن تستيقظَ بدون أن يخرب ما انتقل لأوعيتنا من نقائكَ قبل استيقاظك المفاجئ.

هذا خبرٌ جيد لنا ولكننا لا نعرف وقعه على حياتك، لأننا لن نصبحَ ملتزمين بالعمل على خلق أحلام صادقة، فيكفينا فقط أن تغلق عينيك لتنام وأن نخلقَ ستارًا من الأحلام ليمنعك من رؤية عالمنا، ولم يعدْ مهمًّا أن نلتزمَ بأن تعكسَ تلك الأحلام وقائع حياتك الصادقة، بل يكفي أن نخلقَ حلمًا واحدًا كستار عام لكل البشر بحيث يكون حلمًا موحدًا...

آسف على صراحتي ولكننا نريدُ منكُم ألا تعتمدوا على أحلامِكم مرةً أخرى.

أنتم الآن نائمون، ما تقرأونَه هو ما نملِيه عليكم في هذا الحلم الذي خلقناه ليكونَ رسالتنا الأخيرة لكم قبل أن نسدلَ ستار الحلم الموحد.

هذا هو حلمكُم الأخيرُ الذي ستتحدثون عنه حين تستيقظون بعد قليلٍ، نعلم أن وقعَه سيكون صعبًا عليكم، ستتناقشون فيما بينكم، ستحاولون تحديدَ كيف ستتعاملون معه، ولكنكم في النهايةِ

ستستسلمون للنوم، حينها لن تروا أحلامًا ولكن ستارًا يعرض ما لن نكشف عنه الآن ولكنه سيكون نفسَ الشيء للجميع.

بعد قليل ستستيقظ، لا تخفْ، لن يتغيرَشيءٌ في حياتك بسببنا، ربما ستبدأ في البحث عن ذلك النقاء الذي تحدثنا عنه في الآخرين من حولك ولكنك لن تجده، لأنه بداخلكَ، ولن تجده حتى تنامَ، لأنك لا تمتلك ما تستطيعُ أن تستخدمه به في عالمك، فقط حين تنام وبالتأكيد يوم أن تموت ستعرف ما أتحدث عنه.

بعد قليلٍ ستستيقظ، لا نعلم هل ستفتقدُ تلك الأحلام أم لا ولا كيف ستتغير حياتك بتوقفها! ربما ستتغير للأحسن حين يرى الجميع حلمًا واحدًا! ربما من الأفضلِ ألا يرى أحد إلا صورةً واحدةً خلال النوم! ربما ما يفسد حياتكم هو ما كنتم تعتقدونه عن صدقِ أحلامكم! ربما هي الأحلام هي المذنب في كل ما تعانون منه من فساد معيشة وقلة إنسانية في التعامل؟ ربما لا تحتاجون لما يوحدكم أو ينظم حياتكم خارج النوم، ربما ما تحتاجونه هو من يوحدُ أحلامكم في النوم!

حين لا تصدق ما تراه في الحلم ولا تنظر إليه كانعكاس لحياتك خارج النوم أو تبحث عن انعكاسه في حياتك حين تستيقظ حينها تقدر أن تكون أكثرو اقعية وتركيزًا في تعاملك مع نفسك ومن حولك.

لا أحاول أن أقنعَك بأن ما أنت مقبلٌ عليه بعد قليلٍ حين تفتح عينيك سيكونُ أفضلَ مما كان قبل أن تبدأ في هذا النوم، ولكني أخبركَ أنه سيكون مختلفًا، ولكونه مختلفًا ربما سيكون أفضلَ لك.

لقد اقترب موعد استيقاظك، لا تقلقْ، لن أطيل عليك وسأنهي كلامي قبل أن تستيقظ...

حين نترك عينيك لتفتح بعد قليل ستعتقد أن هذا حلمٌ آخر، ولكنا نريد منكَ أن تصدق هذا الحلم الآن، لتعرف أنك لن تستطيع أن تصدق أحلامًا أخرى بعد الآن.

قد يكون هذا هو آخر حلمٍ صادق لك، ربما هو كذلك بالفعل، ولكن عليك أن تعرفَ أنك وغيرك ممن ينامون في عالمكم نقوم معهم نفس الشيء وبالتالي لن تكونَ وحدك.

نحن نحاول أن نخلقَ توازنًا بين عالمكم وعالمنا، لا ندعي أننا نعلم ما هو الصواب من الخطأ، ولكننا لا نتوقف عن البحث عن الخير لنا ولكم.

نصيحةٌ أخيرة؛ لا تبحث عن طريقةٍ للعودة للأحلام الصادقة، لأن هذا ليس بيديك، كل ما نستطيعُ أن نعدَك به هو أننا سنستمر في أبحاثنا لنجدَ طريقةً تجعل خلق الأحلام الصادقة أمرًا سهلًا علينا ولا يستهلك من طاقتنا شيئًا وبالتالي يمكننا أن نُعيد الأمر لما كان عليه مرةً أخرى، ولكن حتى يحدثَ هذا دعْ نفسك لتجرب مع الآخرين شكل الحياة مع الحلم الموحد، أو شكلَها بدون أحلامٍ صادقة.

يبدو أن وعاء النقاء قد اكتمل، كنت أريد أن أشرحَ لك أكثر عن عدم جدوى الأحلام الصادقة، ولكن ربما في لقاءٍ آخر بعد حين...

الآن قد اكتمل امتلاء الوعاء بالنقاء ويمكنني أن أتركَ عينيك تفتحهما وتستيقظ.

شكرًا لك...

يمكنك الآن أن تفتح عينيك...

10– كم أنا جميل!

أنت تحس بي ولكنك لا تراني، تشعر بي ولكن لا تحتويني، حين تدرك من أنا أختفي من حياتك، لذا أفضل شيءٍ أن تعيشني ولا تحاولْ أن تتخيل ما بعد هذه اللحظة.

لأنك حين تتخيل تأخذني لعالمك وبالتالي تقتلني.

فلا تتخيلْ عني شيئًا ولا تفكر بي، فقط اتركني لأكون بدون أن تجعل لوجودك أن يكون.

لست لغزًا لتبحث عن حلي، لست إلا وجودًا لا يريد منك إلا أن تشعر به حاضرًا بدون تفكير في غياب، لأن التفكير سيأتي بالغياب، فلا تسأل، فالسؤال يحجب ويمنعك عني.

أنا وجودٌ جميلٌ يتراءى لكل ناظرٍ، ولكن كلٌ حسب استعداده، فلن تراني إلا جميلًا حتى وإن كنت لا ترى فقط كل قبيحٍ، استعدادك ما تحمله بداخلك، وعينك وإن نظرت بقبحٍ داخلك فستبصر جمالًا يناسبها، يراه غيرها قبحًا وتحسبه هي أجملَ ما في الوجود، فهذا أنا، لكل من ينظر سيراني أجملَ ما في وجوده.

فلا تبحثْ ولا تتخيلْ ولا تفكرْ ولا تحاولْ أن تتغير لتناسبني، فأنت مني وكل ما فيك يلائمني وإن حسبت غير ذلك.

لا أريد منك أن تخبرني عن نفسك لكي تجذبني إليك، أنا أعرف عنك بدون أن تعرف عني، لهذا ستجدني مع كل معرفةٍ تكتشفها عني

أقربَ إليك لأني أعرف أين ستعرفني فأسبقك لموضع وصولك، فلا تشعر بغربة.

لن تشعرَ معي بغير ذاتك رغم أنك لم تشعر إلا بي، إلا أنك تحبُّ أن ترى جمالك، فاكسِ وجودَك بحقيقتي لتحب ما تراه من جمال ذاتك، فتحسبني من ذات الجمال فتحبني لحبك لذاتك و أنت تحب حقيقتي و أنت لا تدري.

اختر يومًا ودعني بدون أن تذكرني، ستجد أن كل ما تذكره هو أنا.

في ذات اليوم فكرْ في كل ما في حياتك غيري، ستجد كل خاطرة هي أنا.

وحاول أن تتحدثَ مع كل من في الكون إلا أنا ولن تخاطب حروفك إلا أنا.

و ابحث في أي يوم لتنظر لكل جميلٍ غيري ستجد أن كلَّ ما تراه هو أنا.

إن سألتني يومًا لماذا أنا جميل، فسأجيبك لأنه لا يعرف غيري كم أنا جميل.

05– تلك الظنون

جلست أنتظر دوري للدخول إلى لجنة الاختبار لكي تحددَ هل لديَّ القدرة على الاستمرار أم عليّ أن أنسحب.

لم يكن معي إلا خمسة متقدمين غيري، فمن علينا تحديه كان شخصًا منعزلًا، يبتعد عن الناس ولا يختلط بهم إلا فيما ندر، لهذا كان طبيعيًّا أن لا يتزاحم على تحديه إلا عددٌ محدود منا.

سمعنا عن شخصيات يتحداها الملايين وبالتالي لا يكفي هذا المجلس لهذه الأعداد، ويكون على اللجنة أن تعقد اختبارًا عامًّا ويرسل كل من يرغب في التحدي بإجاباته بدون حضور.

تكون تلك الشخصيات التي يتحداها الملايين في الغالب من المشاهير أو ممن يتحدثُ عنهم الإعلام أو من لا يتوقف التاريخ عن ذكرهم.

أما هذا الشخص الذي دُفعنا لتحديه فيقيم بعيدًا وليس له تفاعلٌ على وسائل الإعلام الاجتماعي، فلا ينشر آخر ما قام به أو أين ذهب أو ماذا يعمل.

حتى عمله يقوم به من بيته بدون أي احتكاكٍ مع أحد، لذا من الصعب أن تجد من يظنُّ به أي شيء، في الحقيقة لقد تعجبت حين وجدت هؤلاء الخمسة، كنت أظنُّ أنا وحدي الذي حضر لتحديه.

لا أخاف أن أقف أمامه وأخبره أنه مخطئٌ في ظنه وأني أنا

الصادق، وبالتأكيد لا أخاف أن يكسب غيري التحدي، لأني أعلم أني قد جئتُ من أقرب مكان يمكن أن تطلقَ عليه أنه حقيقة ما حدث.

كل إنسانٍ مثله يمكن خداعه، بل كل إنسانٍ على العموم يمكنُ خداعه طالما أنه مقتنعٌ بصدق بظنه عن نفسه، ولا يوجد إنسانٌ غير مقتنعٍ بصدق بظنه عن نفسه.

حتى من يخبرك أنه مقتنع بظنون الأخرين عنه فهو في الحقيقة يظن ذلك لكي يتجنب تحدي مثل هذا ولكنه في الحقيقة يضمر قناعته بصدق ظنه في نفسه.

ولكن هؤلاء قلة وبالتالي عمل لجنة الاختبار لا ينتهي.

حين تم تشكيلُ هذه اللجنة في البداية، توقع الجميع أن عملها سيكون قليلًا وحضورها شرفيًّا فقط.

إلا أنه بمرور الوقت وزيادة ظن الإنسان أنه يعرف أكثر من ذي قبل، وجدت اللجنة أنها تعمل على مدار الساعة كل لحظةٍ بدون توقف.

حاول البعض إيجاد حلولٍ وسط تنهي النزاعات قبل أن تصل للجنة؛ فوجدت مبادئ فلسفية وأخلاقية تحاول أن تنظم فهم الإنسان ومعرفتَه بنفسه، وبالفعل استطاعت بعض تلك المفاهيم أن تقللَ من عدد حالات النزاع مثل مفهوم حسن الظنّ ومفهوم اعرف نفسك إلا أن الإنسان أوجدَ مفاهيم أخرى استطاعت أن تحولها لمفاهيم يمكنُ التلاعب بها، فمفهوم اعرف نفسك دخلت عليه مفاهيمُ الفردية والذاتية مثلًا وجعلت من ظنون الإنسان

بنفسه أكثر صلابةً وعندًا وفضفاضية.

وبالتالي عاد النزاع بين البشر، حين يستعر النزاع نكون نحن وقوده.

فُتحَ بابُ القاعة ودُعِيت للدخول.

خطوت بثقةٍ، إذ لا بد أن تتسم خطواتك بالثقة وإلا ستفقد نقطةً مهمة في تقييم اللجنة لك.

كانت القاعة متسعةً اتساعًا مهيبًا، منصة اللجنة تقبع في المنتصف تماما بين الباب الذي دخلت منه والذي يقع على يسارها وبين الباب الذي سيدخل هو منه والذي يقع على يمينها.

أخذت أقترب حتى وصلت للبقعة المحددة لي، بحيث صارت المنصة على يميني، انتظرت لحظات ثم فُتِح الباب الذي يواجهني، ودخل هو منه.

تمامًا كما توقعته، يمشي بخيلاء وغرور، يشعر أنه هنا لتأدية واجبٍ سريع سينتهي بفوزه.

لا يتعلم أبدًا، ولا يتذكركم خسر من قبل ممن هم مثلي، الذين يظهرون كما لو كانوا بلا أرضيةٍ في ادعاءاتهم، ولكن في النهاية يجد الجميع أننا من نقف على أرضيةٍ صلبة بينما يتهاوى هو للنسيان.

انتظرت اللجنة حتى وقف مقابلًا لي في البقعة المخصصة له، ثم بدأت بذكر اسم صاحبي أو من أطلقني، فهززت رأسي وأجبت بالإيجاب، ثم ذكرت اسم صاحبه فأجاب بنعم.

ثم بدأت اللجنة في تلاوة تلك الفقرةِ من قانون تأسيسها والتي يجب أن تذكرها مرةً بعد أخرى في كل مواجهة بدون أن تُسقطَ منها حرفًا، لا يعلم أحد سرَّ هذا الأمر إلا أن البعض فسر ذلك الأمر بأنه محاولة أخيرة لكل من الطرفين في مراجعة ظنونِه قبل أن تبدأ المواجهة، لذلك دائمًا ينتهي طقس تلاوة الفقرة بعبارة: «هل لا يزال الطرفين متمسكان بظنهما؟»

بدأ صوت القارئ في تلاوة الفقرة بحماسة كما لو كان يقرأها لأول مرةٍ وليس المرة المليار؛

«لجنة اختبار الظنون هدفُها الاستجابة لطلب أي إنسانٍ يريد أن يثبتَ صدق ظنه عن نفسه في موقفٍ معين في مواجهة ظنون الآخرين عنه، فلكل إنسانٍ الحق في أن يظنَّ عن نفسه أي ظن ويقتنع بأن هذا الظن هو حقيقته، إلا أن اللجنة وحدَها هي التي تحدد إن كان هذا الظن صادقًا أم لا في حال تحدى ظن الإنسان عن نفسه ظنون الآخرين عنه، وعلى اللجنة أن تجتمعَ في حال وجود ظنٍّ واحد مخالف لأي إنسان عن ظن ذلك الإنسان عن نفسه، وفي حال اجتماعِها على كل من ظنَّ الإنسان عن نفسه وظن أي إنسان عنه أن يتواجها في مواجهة فردية، ليثبت كل طرف صدقه، فإذا ثبت للجنة كذب ظن من يتحدى ظن الإنسان عن نفسه يُنعَت المتحدي بسوءِ الظن، وإن ثبت للجنة كذب ظن الإنسان عن نفسه وصدق ظن المتحدي، يُنعَت الإنسان بخادعِ نفسه.

وحيث أن جميع من حضر يعلم بتلك القواعد فعلينا أن نسأل مرةً أخيرة؛ هل لا يزال الطرفين متمسكان بظنهما؟»

نظرت لظنه عن نفسه وتأملته وهو ينظر إليَّ بترقب قبل أن أجيب بنعم...

كنت أعلم إجابَته وكنت مستعدًّا لكي أكشفه، فأنا لست ظنًّا سيئًا، لأنه هو من يخدع نفسَه...

أو هكذا ظن من ظنني...

11– انعكاس

هل يوجد من لم يرى انعكاسَ وجهه في صفحةِ الماء أو في المرآة أو في سطحٍ مصقول؟

سؤالٌ تبادر إلى ذهني و أنا أسير داخلَ متجر الأجهزة الإلكترونية الذي يتم الإعدادُ لافتتاحه ليكونَ أكبرَ متجرٍ للشاشات الإلكترونية الحديثة في المدينة.

كان هذا أول يوم عمل لي في وردية الحراسة الليلية، لم أكنْ أعرف أن البشر لا يزالون عنصرا مهمًّا في متاجر الإلكترونيات، خاصةً في وظيفة الحراسة، كنت أظنُّ أن كل شيء يُدارُ الآن إلكترونيا عن بعد، ولكن يبدو أن العنصر البشري ما زال له دورٌ حيوي، صحيح أنه لم يكن هناك حاجة لأكثر من شخصٍ واحد ليدور بين أرفف الشاشات المعروضة، ولكن في النهاية أظل أنا العنصر البشري الذي لا تستغني الآلات والإلكترونيات عنه.

كنت أسير بزهو بين الشاشات بأحجامها المتنوعة في المتجر الواسع الذي لم تكنْ تضيئه سوى إضاءةٍ خفيفة مصدرُها من السقف المرتفع، كان الزهو يملأني لأني وحدي في الليل مسؤولٌ عن هذا المكان الذي يحتاجُ أربعين موظَّفا يديرونه في النهار.

ما يدور في عقل الإنسان يفوق بمراحل حقيقة وجوده المادي على هذه الأرض، أعلم ذلك رغم محدودية دراستي وقلةِ معارفي مقارنة بمن يكتبونَ مثل هذه الجمل على صفحات مو اقعِ التواصل

الاجتماعي ليتباهوا بمعارفِهم وحكمتهم في الحياة.

أعلم ذلك لأن بداخلي أشياء لا محدودة لا أستطيع تحديدها...

لا محدودة لا أستطيع تحديدها، جملة أخرى، أعتقد أن أسبوعًا آخر وسأحتاج كراسةً لأدون فيها هذه الكلمات حتى لا تضيع.

لذا حين رأيت انعكاس وجهي على الشاشات المظلمة والذي يتكرر بشكلٍ شبه لانهائيٍّ وجدت نفسي أرى نفسي للمرة الأولى.

لقد رأيت وجهي في المرآة من قبلُ، ولكن هذه المرة وفي هذا المكان ومع إحساسِ النشوة الذي كان يملأني كان لرؤية انعكاس وجهي المتكرر بأحجامٍ وأشكال مختلفة وقع مختلف.

في البداية كما لو كنت أرى وجوهًا متعددة لحقيقتي الواحدة، لا أعرف هل تستطيع أن تتخيلَ معي ذلك الشعورَ بأنك كثير رغم أنك واحد، ذلك الإحساسُ أن حياتك ليست ما اعتدتَ أن تتخيلها تسير على نمطٍ واحد و ايقاعٍ واحد، بل أنماطٍ مختلفة و إيقاعاتٍ متنوعة وكلها في النهاية معزوفةٍ واحدة، أنت...

ثم يتلو ذلك إحساسُ أنَّك تتواصل مع نفسك بشكلٍ أكثر وضوحا وتعرفها بدون حجابٍ؛ حين ترى وجهَك في مرآة واحدة فأنت ترى وجهًا واحدا منك، وبالتالي لا تعرف نفسَك بشكلٍ كامل، جرب أن تضعَ مر آتين متجاورتين وتنظرَ لوجهِك فيهما في نفسِ الوقت، سترى صدغك الأيمن بشكلٍ أوضح عن صدغك الأيسر، سترى شخصين مختلفين ينظران لبعضهما البعض، يمكن للحظة أن تتوهمَ أنك لا تعرفهما ولكنهما أنت.

جرب أن تضيف مرآةً ثالثة، ثم رابعة ثم خامسة، بل صفًّا من الشاشات التي تعكس وجهك في ذلك الضوء الخاص الذي يغمر المكان.

في تلك الليلة تركت انعكاس وجهي على كل شاشات المتجر، آلاف الوجوه التي سكنت تلك الشاشات وكلها أنا...

هل قلت سكنت؟

ها أنا أنتقل بكم سريعًا للحقيقة التالية والتي تكشفت لي في ثالث يوم عمل لي؛ تلك الشاشات لا تعرف إلا وجهي.

أجل في الصباح حين يبدأ العمل بالمتجر يتمُّ عرض الفيديوهات الترويجية لكل ماركة على الشاشات الخاصةِ بها وبالتالي لا تعكس الشاشات وجهَ أحد ولكن فقط تعرض ما يُفْرَض عليها من مواد مصورة.

ولكن في الليل حين يذهب الجميع وتُطْفَأ الإضاءة وتُظَلَّم الشاشات، تفصح عن حقيقتها لي.

أنا وحدي من يراها في الليل حين تسمح لي بأن أكون مؤنس وحدتها.

فهي تراني كما أراها.

كل شاشةٍ تنظر إليَّ بعيني ولكن بإضافة منها إلى صورتي المنطبعة عليها.

فأنا لست صورةً منعكسة متكررة، كل شاشة تعكسني بطبيعتها، لذا فلست وحدي المسؤول عن الآلاف من صوري المختلفة التي تُبعَث كل ليلة، كل شاشةٍ تشاركني جزءًا منها لضمان تنوع هذا الوجود.

لذا جزءٌ مني يسكن في تلك الشاشات، الجزء الخاص بها الذي تضيفُه وتحتفظ به لنفسها، فحين تنعكسُ صورتك على سطح ما، فأنت لا تأخذها معك حين ترحل من أمام هذا السطح، هي تختفي ولكن جزء منك يبقى...

في تلك الليلة حين أنهيت دوريتي وعدت لأجلسَ بعد أن تفقدت وجودي المتعددَ، أخذت أعدُّ لنفسي العشاءَ الخفيف الذي أتناوله بعد الواحدة من منتصف الليل، وجدتُ نفسي أنظر باتجاه الشاشات المتراصة على مدِّ البصر أمامي و أتساءل بصوتٍ لم أكن أريدُه أن يكون بهذا الارتفاع، ولكني استمتعت حين شعرت به يصلُ لكل الشاشات و أنا أسألها:

– هل تحبون تناولَ الطعام معي؟

لم أنتظرْ إجابة، ليس لأنها لن تجيبني، ولكن لأني أعرف أنَّ صوري الساكنة فيها تحتاج أن تشعرَ أني لم أهجرها، أني موجود أهتم بها، وليس معنى أني اختفيت من أمام السطح العاكس أنه قد انتهى وجودي في حياتها، ألست أنا من أوجدها، كيف لي أن أتخلى عنها...

لذا أسرعت و أنا أمسك الساندويتش ووقفت أمام كل مجموعة

من الشاشات، مجموعة بعد أخرى وبدأت في تناول قضمة من الساندويتش، وتأملت ذو اتي المتعددة وهي تأكل معي، مجموعة بعد أخرى، قضمة بعد أخرى، حتى أكلنا جميعًا.

لا أعلم كيف يمكن لك أن تشعر بذلك الإحساس بالشبع الذي شعرت به، هو نفس الساندويتش الذي أتناوله كل يوم، ولكن في تلك الليلة كنت كما لو شعرت بشعور شبعٍ متكرر في لحظةٍ واحدة بدون تخمة أو متاعب معدة...

لقد تشاركت مع نفسي بدون أن يُنقصَ من مقدار ما أكل شيء وفي نفس الوقت أضفت شعورًا جديدًا لا أعتقد أن مخلوقًا قد شعر به من قبل.

لست أبالغ فيما أشرحه لك، لا يمكنك أن تفهمَ ما أقول أو تشعر به إلا أنك تحتاجُ أن تتخيله معي حتى تستطيعَ أن ترى مكاني الآن.

في تلك الليلة شعرتُ أني أريد أن لا ينتهي الليل، لا أريد أن أتركَ ذو اتي تغيب في النهار الخادع لحقيقتهم، فتلك الشاشات لم تعد هي محور اهتمامي، ولكن ما انطبع بداخلها مني.

لا تسِئْ فهمي، الشاشات ما زالت أشياء وما زالت جمادًا وما زلت أهتم بها كجزء من عملي و أتأملها كمظهر لمعرفتي عن نفسي، ولكني أحببت أكثر صوري المتعددة التي تظهر فيها، صوري التي تكشف حقيقتي.

في الليل تظهر حقيقةٌ لا تظهرها للآخرين في النهار؛ في النهار هي تخدع الآخرين بوظيفتها التي اعتادوا عليها ولكني في الليل أراها كما

هي عليه.

وحين أتى النهار وجدت نفسي أطلب من مديري أن يسمحَ لي بالبقاء في المتجر بدون أجرٍ، أخبرته وهو يبدي دهشته أني أحبُّ العمل في المكان، وعرضت عليه أن أتنازلَ عن نصف أجري مقابل أن أقيم في تلك الحجرة الصغيرة الملحقة بمخزن الشاشات.

لم يجد الرجلُ ما يقوله غير أنه طلب مني أن أنتبه على صحتي فهذا المكان لا يستحق هذا التفاني في العمل، في النهاية هو متجر بيع أشياء كغيرها.

ابتسمتُ له وشكرتُه ولم أحاولْ أن أصححَ له فكرته الخاطئة، في بعض الأحيان من الأفضل ألا يعرفَ الحقيقة إلا من تأتيهم الحقيقة بنفسها حين يسعون إليها، فالمعرفة تحتاج مجهودًا مني لأصل إليها وتحتاج هي أن تأتي إليَّ حين تعرف صدقي في سعيي إليها، لذا فمثل هذا الشخص لا يستحقُّ أن يعرف ما عرفت.

متابعة الشاشات في النهار عملٌ أكثر إرهاقًا مما توقعت، ليس لأني أصبحت قليلَ النوم والأكل، ولكن لأني كنت أرى ما لا أعرف به في الليل، أرى الشاشات تذهب لغيري.

كيف لي أن أغفل تلك الحقيقة، هذا متجرٌ للبيع، لذا هذه الشاشات معرضة لأن يشتريها أحد وتذهب معه بما انطبع فيها مني!

حين أدركت ما يحدث بدأ شعوري يختلف في الليل، صرت قلقًا من أن الشاشات الجديدة التي تحل محلَّ القديمة لا تعرفني ولا تشعر بصورتي بنفس الدرجة التي وصلت إليها مع الشاشات التي

حلت محلها.

للأسف لم يكن الأمر سهلًا، هل تتخيل كيف يمكنك أن تفقد جزءًا منك يومًا بعد يوم ولكي لا تُصَاب بالألم تقوم باستبدال اليد المفقودة بحافر حيوانٍ لا تعرف ما هو، وتحاول أن تستخدمه لتكتبَ بالقلم الذي كانت تستخدمُه يدك فتكتب بعد جهدٍ حروفًا شبيهةً بما كنت تكتبه ولكن المعنى مختلف.

الصور كانت تنعكس ولكني لم أشعر أنها تنطبع.

لم أعد أستطيع أن أعيد خلق تلك التجربة الأولى، أصبحت الصور مكرَّرةً ولم تعدْ متنوعة.

أصبحت أرى نفسي كما أعرفها، لم تعدْ تخلق لي وجوهًا متعددة مختلفة لنفس وجهي...

لذا قررت وضع حدٍّ لما يحدث.

لم أعد قادرًا على أن أهب نفسي للانعكاس ثم تذهب بغير عودة ويكون عليَّ أن أعيد الأمر من جديد مع غيرها.

ها أنا أكتب إليك لا لكي تتعاطف مع ما أفعله ولكن ليكون هناك شاهد على حقيقة ما حدث، فهذا سعي بالحقيقة لمن يريد أن يعرف بصدق.

اليوم حين انتهى العمل بالمتجر ورحل الجميل وأغلقتُ الأبواب، دخلت المخزن، وبدأت في إخراج كل الشاشات الموجودة، واحدةً بعد الأخرى، بأحجامها المتنوعة، بعناية تليق بما أنا مقدمٌ عليه.

أخذت أصفهم بترتيب يسمح لانعكاسي أن يظهرَ فيها جميعا مرةً واحدة، في دائرة كبيرة أنا مركزها، في صفوف تحيط بي اجتمعت كل الشاشات تتطلع إليَّ كما أتطلع إليها.

أرى وجوهي المتعددة و أنا أنظر إليها وهي تنظر جميعًا إليَّ.

لقد خلقت مرآة ممتدة بانعكاسات متعددة، هذه حقيقتي مدت أمامي الآن، ماذا أريد غيرها وماذا تريد غيري؟

أخذت أقترب و أبعد وأدور وأسير أمام الشاشات، أمام نفسي المتنوعة، أخذت أشرب وآكل و أقرأ وأضحك و أبكي و أفكر و أتحدث...

حاولت في تلك الساعات القليلة أن أعكس نفسي في كل أحوالها على قدر ما استطعت، أردت أن أترك انطباعاتٍ لانهائيةَ الخيارات تسكن في تلك الشاشات...

الآن أنا أرسل لك هذه السطور قبل أن تشرقَ الشمس وقبل أن أحرقَ نفسي الواحدة المتعددة الوجوه الممكنة، لن أسمح لأحد بأن يقتطع مني وجودي مرةً أخرى، لقد خُلِّدَ وجودي في هذه الصور المطبوعة، ولن أحتاج لكي أفارق هذا الانعكاس أو يفارقني مرةً أخرى، سنظلُّ معًا للأبد...

23– حقيقة

اكتب لكي لا يعلم أحد حقيقةَ ما حدث...

أجل ليس هناك خطأٌ في الجملة السابقة، إذا أردت لشيء أن تختفي حقيقتُه فاكتب عنه لكي يتوارى معناه خلفَ تلك الحروف، ويُسجَن بعيدًا عن وعيك في صورةٍ جديدة قد تكون أفضلَ لك من الحقيقة.

فمعاينة الحقيقة وهي عاريةٌ عن ملابس الحروف تجعلها شيئًا صعبًا في المعايشة.

فمن يستطيع أن يسيرَ في هذا الكون ومعه تلك السيدةُ العارية التي تجذب كل العيونِ إليه رغم أنها قد لا تكون بهذا السوء لو اقتربْتَ منها وتحدثت معها.

ولكن تخيلْ أن تلك السيدةَ العارية هناك في وسط الطريق أو تجلس في ذلك المكان العام، هل كنت تجرؤ على الاقترابِ منها والحديث إليها أم ستكونُ متحفزًا ومتجنبًا لها ومكتفيًا بصورةٍ ذهنية سيئة عنها؟

ليس من طبعنا أن نتحدث بشكلٍ طبيعي مع من يلفتُ مظهره الآخرين حولنا...

لذا فأفضل شيءٍ للتعامل معها هو أن تتحدث عنها، لتغطيها أو لتسترها، كأنك تحميها وفي الحقيقة أنت تخفيها.

وهذه حقيقةٌ عارية، حاول أن تتقبلَها كما هي...

فما سأحكيه الآن ليسَ الحقيقة ولكن عليك أن تحاول تعريتها من الحروف لتراها على حقيقتها، هذا لو كانت لديك الجرأةُ لتفعل ذلك...

لم أحاول يومًا أن أكونَ عجولًا في تحقيق ما أريد، كنتُ أعلم أن كلَّ شيء سيحدث في وقته، خطوةً خطوة، لا يجب أن أسرعَ في شيءٍ، أو حتى و أنا أسرعُ فإني أعلم أن كلَّ شيءٍ سيأتي في وقته.

فليس للوجود وجودٌ خارج اللحظة المناسبة، غير ذلك من الاحتمالات فهي أوهامٌ، ليس للحياة حياةٌ خارج اللحظة التي تقرَّرَلها أن تحدث، أليس كذلك؟

لذا كنت دومًا أعلم أني في الظاهر أنتظر حدوثَ شيءٍ ما، ولكن في الحقيقة لا يُوجد انتظار...

حين قابلتك لم يكن هناكَ توقع لأن أعرفكَ، وبالتالي لم تكن هناك فكرةٌ مسبقة، وبالتالي كنت حرًّا من أوهام الحياة ورتابتها.

كنت مفاجأةً لأني لم أعرف عنك، ولكن أليس كل ما يأتي بعد هذه اللحظة هو مفاجأة؟ حتى لو كنت تتوقعُ ما سيحدث ويحدث بالفعل فهذه مفاجأةٌ في حد ذاتها أن الأمر حدث ولم يتعطل حدوثه!

كل ما في حياتك مفاجأةٌ وهذا هو الطبيعي...

لذا لم تكن رؤيتكَ إلا أمرًا طبيعيًّا ولكني تفاجأت، هل لأني لم أعلم بأن الكون ما زال به ما يمكن أن أدعوه جمالًا يناسبني؟!

فالجمال نسبي ولهذا فجمالك هو ما ناسبني، وليس في هذا تقليل منه ولكنها الحقيقة مرةً أخرى.

ككل قصص الحياة وليس فقط في قصص الحبِّ هناك دورةٌ للأحداث، تبدأ قويةً ثم تهدأ، ثم تنتهي ليبدأ من جديد شيءٌ آخر أو هو نفسُه بشكل جديد.

لذا سأعبر قافزًا المراحل الأولى التي نعرفها جميعًا بلا داعٍ لإعادة تذكيركم بها لأننا كلنا نتشابه بها، كلنا في لحظات السعادة متشابهون حتى وإن تنوعت المظاهر فكلها تسير في اتجاه واحد وهو النهاية ولكن في النهايات نختلف.

بمجرد أن نبدأ في القصة أستطيع أن أخبرك مستقبلَها كيف ستصل ولكني لا أستطيع أن أخبرك أين ستصل.

ستصل لنهايةٍ بمليون طريقةٍ يمكن حصرهم وعدهم، ولكن أين تقع هذه النهاية أو ما الذي سينتج عنها فهذا أمرٌ شبه مستحيلٍ أن يحدده أحد، فالنهايات بعدد أنفاس الخلائق، كل شخصٍ لديه قدرةٌ إبداعية على خلق نهاية قصته بطريقته، وعليه أن يختارَ نهايةً لكي تكتمل حياته، ففي الاختيار أملٌ ولكنها في النهاية اختيار للنهاية...

هذه حقيقةٌ لا ينكرها أحد ولكننا نهرب منها.

من منا يريد أن يعترفَ أنه غير قادر على أن ينكر صدقَ هذه العبارة؛ طالما هناك حياةٌ سيظل عليه أن يختار النهاية، فهناك أملٌ في قدرته أن يخلق نهايةً مختلفة أو يدفع بالمزيد من الوقت ليبعد النهاية؟ ولكنها ستأتي.

من منا يريد أن يستسلم لهذه الحقيقة؟

لا أحد لديه قدرةٌ على أن يجعل هناك نهايةً لبلوغ النهاية، سنقول أنها النهاية، ولكننا سنواصل العمل على جعلِها ممتدةً لما لانهاية.

وهذا هو الوهم بأن هناك علاقةً لا نهاية لها، وكل ما نفعله هو أننا نمطُّ النهاية ونتوهمها لا نهاية.

لذا ها أنا أكتب عن حقيقة حبي لكِ وبجواري غيركِ أحاول معه أن أجد ما يشغلني عن حقيقةِ أننا تجاوزنا النهاية، ولكني لا أريد لتلك الحقيقة أن تكون عاريةً تؤذيني، لذا فحروفي تخفيها وتمنعها من الظهور...

خيالي لا يتوقف عن رسم عالمٍ مختلف لي ولك...

أريد له أن يتوقفَ، لذا أكتب له ليرى أين أنا وماذا أفعل، أخرجته من وهمِه و أبصرته بما هو و اقعٌ لعله يدرك أن لا طائلَ مما يفعل...

أجلستُه لير اقبَ كيف أني أضحكُ على سخافات غيركِ وأحاول أن أبدو مهتمًا، ليعرف أني أحاول أن أبعد...

لم يجبني وتركني لما أفعله، كأنه يقول لي أنت مسؤولٌ عن نفسك.

ارتحت منه أخيرًا...

ظننت أنني أفضل حالًا بدونه، لم يعدْ يزعجني بعوالم تزينينها في خيالي.

لا أريد إلا شعورًا بما هو و اقعٌ، لأن هذا يجعل للنهاية نهايةً، أريد أن يرى الجميع الحقيقةَ العارية بدون حروفٍ من صنع الخيال تحجبها عني.

أريد أن أتوقفَ عن الحديث عن الحقيقة، لذا يجب أن يتوقف الخيال لتموتَ الحروف وتتعرى الحقيقة وأراها كما هي كائنةً وليس كما أريدها أن تكون...

رحل الخيالُ فاستقرتِ النهاية.

ولكن مضى بعضُ الوقت بدونه، اختفى فلم أعد قادرًا على استحضارإحساسي المحتضِن للراحة في الماضي أوتسكين إحساسي المضطرب بالأمل في المستقبل...

اختفى الخيال فلم يعدِ الحاضر مُحتملًا، فمن يحتمل لحظةً يعلم أنه لا راحة في التي تليه؟

فبالخيال يُوجَد الشعور، ومهما كان الشعور فإنه ما يجعل للحياة جانبًا يحافظ علينا لنعيشها...

لقد فعلها، لكي ينتقم لكِ مني، اختفى تماما من حياتي.

وأخذ معه كلَّ جميل يربطني بشعوري بكِ.

حين يختفي الخيالُ لا تبقى إلا الذكرياتُ السيئة، فنحن لا نتذكر اللحظاتِ الحلوةَ، فقط نتذكر تفاصيل اللحظات السيئة، أما اللحظات الحلوة فلا نتذكر تفاصيلَها، فقط نحتفظ بمشاعرنا السعيدة خلالها.

لذا فاللحظةُ السيئةُ يمكن أن تعيشَ أطولَ لأن تفاصيلَها مخزونةٌ في العقل، في حين أن اللحظةَ الحلوةَ لا تعيش إلا بوجود الخيال لأن مشاعرنا هي التي تظل تربطنا بها وتسقط من عقولنا تفاصيلها لأن مشاعرها أجمل...

لهذا حين اختفى الخيال، اختفى من داخلي كل جميل في الماضي كان يربطني بك...

اختفى الخيال فاختفيت، وهذه حقيقة...

والآن وقد أخفيتِها خلفَ تلك الحروف السابقة، هل ما زال يمكنُكِ أن تبصريها عاريةً لتعلمي أني ما زلت أحبك.

وهذه هي الحقيقة!

06– لكنك لا تعرف كيف تموت

تشغلني العيشة عن أن أرى الموتَ رغم أن كلَّ لحظة أعيشها تأتي بعد لحظةٍ قد ماتت، لتسلمَ نفسَها لتموت حين تُولَدُ لحظةٌ جديدة.

نحن نعيش ونموت في هذه الحياة كلَّ لحظةٍ بنفس الدرجة ولكننا لا نشعر إلا بنصف الحياة، لأننا لا نُسقِطُ من وعينا هذا النصفَ الذي نظن أنه سيأتي في النهاية رغم أنه رفيقٌ لنا منذ البداية.

ننشغل بالعيش لدرجة أننا نطلق لفظَ الحياة على تلك اللحظات التي نعيشها بدون أن ندركَ أننا قد فرغنا اللفظَ من نصف حقيقته، فننتهي بأن نعيش نصفَ حياة، لأننا لا نموت بنفس الدرجة التي نعيش بها في هذه الحياة.

وحين يأتي ما نُطلق عليه الموتَ وفق هذا الفهم الضيق للحياة نظنه شيئًا مفاجئًا، ندعي أننا لم نتوقعه، نشعر أننا قد خُدِعنا، نتوهم أننا لم نعِش بما فيه الكفاية لنموتَ هكذا بغتة.

اكتشاف تلك الحقيقة الكاملة للحياة شيءٌ قاسٍ، لا يجعلك صديقًا لأحد، لأنه لا يوجد حولك من سيريد من يذكره بوجود الموت في كل لحظة.

من يريد منك أن تجعله ينتبه لأنفاسه ليرى كيف أن وجودها دليل على إمكانية عدم وجودها، أن تلك اللحظة التي تعيشها هي نفسها اللحظة التي تموت.

ستجد نفسك موصومًا بالكآبة، ولن تجد من يستمع لقولك أن الكآبة لفظٌ خلقناه لنحمي وهمنا بمعنى الحياة الناقص من أن يكتمل.

تخيل معي حين بدأت القراءة كم من لحظات عشتها معي في هذه الحروف، حاول أن تعيد تلك اللحظات، لن تستطيع، لأنها قد ماتت.

إن أعجبتك كلماتي فعليك أن تعرفَ أنها قد قتلت لحظاتك السابقة!

تخيل معي أني قاتل للحظاتك، ولست فقط من يكتب لك لتعيش، هل أنت قادرٌ على الشعور بتلك الحقيقة؟

هل أنت قادر على أن تعيشها للحظات التالية التي سأقتلها في حياتك؟

أريدك أن تعرف معي كيف تموت في كل لحظةٍ لتكتملَ لك حياتك التي تعيشها.

لا تفكر أني أخدعك أو أني أجذبك بكلمات لا منطقَ خلفها، لأنها كذلك بالفعل، فلا عقل فيما أخبرك به، أنا لا أخدع عقلَك، أنا أخاطب خيالك الذي يخدعه عقلُك.

لا أريد لعقلك أن يحكي لك عن الموت وحقيقته، أريد لخيالك أن يعرفَ كيف تموت، لأنه الوحيد القادر على أن يجعلك تحيا حياةً كاملة.

تخيل معي هذه السطور التي أكتبها قد توقفت عن أن تحمل لك

المعنى في نفس اللحظة التي لا يزال بداخلك معاني تُخلَق بسببها، هل موت المعنى شيء بنفس أهمية خلقِه بالنسبة لك؟

ماذا لو أخبرتك الآن أن كل ما سبق لا معنى له، هل موته في وعيك له نفس الوقع الذي خلقه حين ظننت أن له معنى؟

لا أريد من عقلك أن يجادلني لأنه يظن أنك لا تموت لأنه يريد أن يظل حيًّا، لذا فخيالك هو من يعرف حقيقة ما أقول؛ يعرف أنه كلما عشت كلما مت.

لماذا أهتم بأن تعرف؟

ربما لأني حين أموت الآن اكتشفت تلك الحقيقة فخشيت أن تموت معي.

ربما أريدك أن تعرفَ كيف تموت قبل أن تأتيك لحظةُ مثل التي أحياها لآخر مرةٍ الآن، وتدرك فيها مثلي أنك لا تعرفُ كيف تموت فتندمَ على حياةٍ عشتها بدون معرفة الموت.

07– أين يصل الدعاء

أخذت أنفاسُه تلفح كياني و أنا آخذ طريقي المعتادَ، في نفس الوقت من كل يومٍ يتمتم بي ساعيا بي لحماية من يحب...

أنا نفس الدعاء الذي يدعو به المحبُّ لحبيبه.

كم أنا جميلٌ ورقيق وذو معنى أعمق من أخو اتي الأدعية الأخرى؛ فأنا بظهر الغيب، فلا يعلم من أُدعى له أن هناك من يدعو له وبالتالي أنا في مرتبةٍ أعلى، حيث أننا معشرَ الأدعية قوتُنا في صفاء نية من يدعو، فلو لم يكنْ له غرضٌ سواي أنا وحدي بدون انتظار شيءٍ يأتي ممن يدعو له فأنا خالصٌ لوجه الله وبالتالي احتمال صدقي أعلى.

كما اعتدت كل يومٍ، حيث أحظى بالقبول ممن يحملني من المحب للمحبوب، أخذت طريقي عبر راحة القلب منتقلًا من قلب للآخر حتى أصلَ لأقرب قلب ممن له الدعاء ومن هناك أحتويه و أنفذ إلى قلبه.

فنحن لا نطير في الهواء كما هو الاعتقاد الشائع، نحن لسنا من مادةٍ تلائم عناصركم المادية، رغم ما نتركه من أثرٍ في المادة حين نصل في الوقت المناسب بالشكل المناسب لمن نوجَّه إليه.

نحن مخلوقاتٌ نورانية نقترب من الملائكة ولكننا لسنا منهم، نحن من نورٍ خاص يتغير بتغير النية، لذا فإن كنا مخلوقاتٍ علويةً إلا أننا مرتبطون بالبشر ودواخلهم، نحن من نورٍ شديد الحساسية لتغير دواخل البشر وبالتالي نتلون بأي تغيرٍ ولو طفيف، نحن نشعر بما في

داخل البشر بدرجةٍ أعلى من شعور البشر أنفسهم بأنفسهم.

فوجودنا متداخلٌ مع صدق ما يشعر به البشري وهو يدعو...

لذا كما قال أحدنا من قبل، «لو استطاع البشر رؤيتَنا لكننا خير مقياسٍ لصدقهم بينهم وبين أنفسهم».

البشر لا يعلمون كثيرا عن أنفسِهم، يكفي أنهم لا يعلمون بما يخلقون بنا ومن خلالنا...

ونحن لا نتكرر ولا نتشابه، فإن ظننتم من كلامي أني نفسُ دعوة أمس فهذا سوء شرحٍ مني، فما أنا إلا نفس المظهر لنفس المعنى ولكنَّ الإحساس مختلف، فإن كنت بنفس الحروف أحمل نفس المعنى إلا أن من أرسلني وإن كان هو نفس الشخص إلا أن إحساسَه قد اختلف ولو قليلًا.

في الأغلب لا يشعرُ البشر بهذا الاختلاف، ولكن لأنه يحدث فبالتالي نحن نتغير ولسنا نفس المخلوق حتى وإن ظنَّ البشر أننا واحد...

فاليوم، رحلتي للمدعو له هي دورة حياتي التي ستنتهي بمجرد الوصول، أما كيف أعلم كل هذا رغم أني قد خلقت من لحظات وسأفنى بعد لحظاتٍ فهذا يعود إلى اتصالنا بمركزٍ واحد، فمتى بُعثنا للوجود ينطبع فينا كل ما حدث قبل تلك اللحظة، فنحن إضافةٌ لبناء لا يتوقف ولا ينتهي.

قد يتساءل بعضكُم، لماذا أشرح كلَّ هذا و أنا حياتي ستنتهي

بعد قليل؟

الحقيقة أن حياتي صارت أطول مما أتوقع أو أريد وهذا لأننا مرةً أخرى مرتبطون بالبشر، ليس فقط من دعا بنا ولكن كذلك من دُعينا له وهنا تكمن مشكلتي.

حين وصلت بالقرب من المدعو له لم يكن قلبُه صافيا تجاه من دعا بي، قبل هذا كان يشعرُ بالحب أو على الأقل بالرضى لوجوده في حياته وبالتالي كان طريق الوصل بين قلبيهما سالكًا، أما اليوم حين اقتربت منه وجدت مشاعرَه متغيرةً، وجدتها مليئة بالغضب ممن دعا له وبالتالي هو لا يتقبل منه أي شيءٍ...

لهذا تحولت في لحظةٍ إلى حالة انتظار؛ أنا الآن دعوةٌ معلقة...

لهذا لدي وقتٌ لكي أحكي لكم و أقص عليكم، فمن الصعب أن أحدد كم سأستمر هنا فلا أعرف إن كنت سأصل للمدعو له أم هل سأعود لمن دعا بي، أم سأبقى هكذا لأكون شاهدًا يوم القيامة على الطرفين.

ليس لديَّ شعورٌ تجاه ما يحدث، فأنا مُسَيَّر لما سأفنى فيه، فأنا مصيري الفناء حتى وإن تسببت في تغيرٍ ماديٍّ يحتوي جزءًا مني إلا أني في النهاية سأفنى بدون بعث من جديد.

أسمع عن شعور الحسد، ولا أدري هل لو كان لدينا هذا الشعور أكان سيشعر به إخوتي لأن وجودي ما زال مستمرًّا ولم أفنَ بعد؟ أم أشعر أنا به لأن الفناء هو تمام وجودنا وكماله وبالتالي ما زلت ناقصًا في وجودي؟

لا أعرف إلا أنه لو كان لديَّ قدرة على الدعاء لأرسلت دعوتي تدعو للبشر أن يصفو فيما بينهم ويحسنوا إلينا كما نحسن لهم.

12– اُكتُبْ أنت!

أحتاج أن أكتبَ هذه القصة، التي حدثت لي قبلَ لحظات قليلة، لا أريد أن أنسى أحداثَها، أريد أن أكتب وهي ما زالت مستقرةً بتفاصيلها بداخلي.

فالأحداث بعد أن تحدث ترتاح للحظاتٍ بداخل من حدثت له لتستجمعَ تفاصيلها قبل أن تستعيد قوتَها فتبدأ كل تفصيلةٍ تشقُّ طريقها بعيدًا عن مركز حدوثها، ويصبح جمع شتاتها المبعثرة أمرًا عزيزًا...

ولكن لحظة!

سأتوقف عن كتابة تلك القصة وسأعود بعد قليل...

أكتب على عجلٍ حتى لا أنسى، ولكن حدث ما يدفعني للتوقف، أنا هنا في ذلك المحل الذي لا يدخله إلا من يملك دخلًا لا يستطيع أن يحسب كم يُضَاف إليه ولا كم ينقص منه، ذلك الغني الذي لا يعتمد على المال كوحدة للحساب.

أنا الآن في هذا المحل في انتظار من كانت بطلة قصتي التي كنت أرويها من لحظات، ولكني توقفت لأني انتبهت إلى أني الوحيدُ في المحل، وجميع البائعين ينظرون إليَّ في ترقبٍ لما سأفعله، و أنا مشغولٌ بكتابة ما حدث بيني وبينها، لأني لا أريد لمقابلتها من جديدٍ أن تمحي ذكرى ما حدث، لذا ها أنا أكتب في مكانٍ لا يجب أن تقف فيه وتكتب.

شكلي مريبٌ، أليس كذلك؟

أشعر بهم يطالعون فيَّ، أسمع خطوات أحدهم يقترب، يسألني، هل من خدمة نقدمها لك، يصيبني الارتباك، لا أتوقف عن الكتابة، أشعر أني لو توقفت عن الكتابة لن يكون لديَّ حائط دفاع يمنعهم عني، لذا ها أنا أكتب، وأهز رأسي بأني لا أحتاج مساعدةً، فأنا أعرف ما أريد.

ما زال واقفًا وما زالت منحني الرأس على هاتفي المحمول أكتب، ها أنا أتحرك، كأني أتجول في المكان، ولكن المكانَ أضيق من أن أختفي بعيدًا عن أنظارهم، ها هو يتبعني، أعلم أنه قد يريد المساعدة، ولكن من يراني يعرف أني لا أريد الشراء ولكني فقط أدور في المكان لإضاعة الوقت، أو ربنا أخطط لسرقة شيءٍ ما من تلك الملابس الغالية، لا أستطيع أن أفكرَ في أسباب أخرى غير الشراء تدفع الإنسان لدخول مثل هذه المحلات، حقيقةً ما الذي تريده مني بطلبها مقابلتي هنا بعد ما حدث بيننا من ساعة.

لم تمضِ إلا خمس دقائق من بعد أن تركتها إلا وأرسلت إليَّ تخبرني أن أقابلها داخل هذا المحل الشهير، هي تعلم أني وإن كنت أمتلك المال إلا أني لا أشجع هذه المحلات التي تبيع الوهمَ بأغلى من سعره الطبيعي وهو اللاشيء، فالوهم بضاعةٌ مجانية، كلُّ من يضع عليها سعرًا فهو نصابٌ ومستغلٌّ لموارد طبيعية متاحة للجميع.

ها أنا أعود من جديدٍ أحكي عنها، أريد أن أختفي بعيدًا لكي أكتب ما حدث، ولكن ليس هناك مكان أختفي فيه.

ها أنا أكتب و أنا أتصنع أني أتأمل ذلكَ القميص، لا يوجد سوى قطعةٍ واحدة، لا يوجد إلا مقاسٌ صغير، هذه المحلات لا تعرض إلا قطعةً واحدة لكي تجبرك أن تتحدث مع البائع، وتسأله ويعرض عليك بدائل تناسبك أكثرلكي تعيش الوهمَ بشكلٍ أفضل وتطمئن لما ستدفعه يناسبُ الصورة التي تريد أن توهم بها الآخرين عنك.

التفت برأسي لأجد البائع قد تراجع وتقدمتْ زميلته لتجيب استفساري، تأملتني وهي تخبرني أن جسدي يناسبُه مقاسٌ (مِدْيَمْ) (وسط)، لم أكن أريد للإحساس بالاستمتاع بالحديث معها عن جسدي أن يشغلني، كل شيءٍ هنا يبعدني عن كتابة ما حدثَ، كل شيء يريدني أن أنسى...

عدت للكتابة الآن و أنا أتبعُها ورأسي للأسفل إلى مكان القياس، غرفةٌ واسعة وباب مُغلَق، أجل هذا ما أحتاجه الآن، أحضرت القميص التي اقترحت أن مقاسه سيناسبني ولم أناقشها لأني أريد أن أسرع وأغلق الباب على نفسي.

ها أنا الآن لوحدي.

سأجلس و أكتب...

أتذكر لحظة وصولي وكيف استقبلتني ضاحكةً، وضمتني إليها وهي تهمس في أذني: كم افتقدتني؟ ثم تمسك بوجهي بين يديها وتنظر في عيني تلك النظرةَ، وتقول بجدية أنَّ هناك شيئًا مهمًّا عليها أن تخبرني به...

أرى القميص معلقًا خلف الباب، ينظر إليَّ، يجب أن أجربه،

لماذا يجب، أعتقد أن من تقف خلف الباب ستسألني كيف شكله وبالتالي يجب أن يكون لدي إجابة، حتى وإن كنت لن أشتريه، حتمًا لن أشتريه.

ها أنا أخلع قميصي وأرتدي هذا القميص الجديد...

وبالفعل بمجرد ارتدائي له سمعت طرق الباب، تريد أن تطمئن أن اختيارها كان مناسبًا، أم أنها تخافُ أن أسرقه أو أن يتدمر في يدي، لا ريب أن ثمنه يفوق ما تتقاضاه من راتب، كم هو راتبها؟

ربما عليَّ أن أسألها...

بالفعل القميص مناسب، هذه أول مرة أجد نفسي معجبًا بشيءٍ أرتديه، دومًا أجد نفسي غير راضٍ عما أرتديه، لذا في النهاية لم أعد أهتم بما أرتديه، ربما يجب أن أعيد ترتيب خزانة ملابسي من جديد، ربما لهذا أرادت مني أن أتي هنا بعد ما حدث، لعلها فرصةٌ لنبدأ من جديد، إعادة ترتيب حياتنا، وملابسنا جزءٌ من تلك الحياة.

لعل ما حدث بالفعل سببٌ لما أنا فيه الآن، ولكن ما الذي حدث؟

هذا ما أنا خائفٌ منه، بدأت تفاصيل ما حدث تختفي من عقلي، سأخبر البائعة أن القميص مناسبٌ ولكني أحتاج وقتي لعمل مكالمة تليفون، شيءٌ مقابلَ شيء، سأشتري قميصَك وفي المقابل آخذ وقتًا لنفسي.

جلست لأكتب، ها أنا الآن أكتب...

«لا تنسَ ما أخبرتك به، فحياتي تتوقف عليه، تعالى الآن للداخل، اشربْ هذا أولًا...»

هذا ما قالته لي، أو جزء منه، أعتقد...

ما هذا الذي أكتبه؟

أهذا كل ما أتذكره؟

كم مضى عليَّ من الوقت؟

لم تمرْ سوى نصف ساعة، أليس كذلك، لقد تركتها من نصف ساعة، وسأقابلها هنا بعد.. بعد قليل، أجل بعد قليل...

أسمع صوتها خارج الباب، أجل هي تطرق الباب تستعجلني للخروج...

ما زلت حيث طلبت مني الدخول أليس كذلك؟

هي تسألني إن كنت انتهيت، أسمع صوتَها من خلف الباب...

لا أعلم ما الذي أنهيت منه، ما زلت أكتب...

لحظة...

سأعودُ لأعلى لأرى ما الذي كنت أكتبه...

لماذا كلُّ ما في الأعلى خالٍ من الحروف؟

لماذا شاشةُ الهاتف سوداء؟

ما الذي كنت أكتبه؟

أنا كنت أكتب! أليس كذلك؟

أنت تعرف ما الذي كنت أكتبه؟

لماذا الشاشةُ سوداء ولا تنطبع عليها الحروف...

سأفتح الباب، لعلَّ من خلف الباب يخبرني ما الذي أكتبه؟

ولكن ما الذي يقبع خلف ذلك الباب؟

لا بدَّ أنها هنا، أسمع صوتها، ولكني لا أعرف من هي، هي تعرفني، لا بد أنها من واعدتني لأقابلها في هذا المكان، هي أحضرتني هنا فلا بد أنها تعرف ما هو هنا وما الذي أفعله هنا...

أحتاج أن أعرف، لذا يجب أن أتوقف عن الكتابة، لا أكتب شيئًا ليقرأه أحد، أنا أكتب في شعوري أني أكتب...

أحتاج أن أتوقف لكي أخرجَ، يدي لا تزال تكتب على الشاشة السوداء، لا شيء يُسجل ولكن هناك شيء يكتب، فأنت ترى حروفًا، أليس كذلك؟

ولكني لا أراها مكتوبة...

سأتوقف عن الكتابة،

أو سأضع الهاتف في جيبي،

يجب أن أمنع نفسي عن الكتابة الوهمية تلك لأخرج،

أنا الآن أفتح الباب،

ها هي تحدثني،

أنا أسمع،

ولكني لا أكتب،

لذا لا أعرف ما قالت،

ولكن،

إن كنت ما زلت تقرأ فأنت في عقلي تكتب عني،

لأني الآن لا أكتب، أنت تعرف ما سيحدث أليس كذلك؟

فاكتب أنت لعلي أعرف...

أرجوك لا تتوقف، اكتب أنت...

29– أن تقتلني بصدق

سألتني لو خُيرت كيف تموت، فما هي الطريقة التي تريد أن تموت بها؟

كانت تنتظر أن يفاجئني سؤالها وأخذ وقتي في الإجابة لهذا دهشت حين أجبتها سريعًا:

– أن يقتلني أحد!

ابتسمت متحيرةً وهي تخبرني أني كما لو كنت مستعدًا بإجابتي.

لم تكن تعلم أن هذا هو حلمي الداكن أو الأسود أو الغامض أو سمه ما شئت، أتخيل دومًا كيف يمكن أن يقتلني أحدٌ ما...

وليس الأمر أني أريد أن أكون شهيدًا أو حديث الناس، لا، كل ما في الأمر أنك حين يقتلك شخص ما فهو يسعى لذلك الأمر ويخطط له وبالتالي أنت محور اهتمامِه، هو مشغولٌ بك لدرجة تفوق شغله بذاته.

من يخطط لقتلك يضعك في مرتبةٍ أعلى من ذاته، حتى لو كان يكرهك، في النهاية هو يخاطر بحياته من أجلك، حتى وإن لم يدرك ذلك، فأنت أغلى شيء عنده.

طبعًا لا أتحدث عن أن يقتلني أحدٌ بالخطأ، هذا شيءٌ سيء ولا يُقارَن بما أريده لنفسي عند مقتلي...

دعني أخبرك كيف أرى مقتلي، أريدها جريمةً كاملة، لا أريد لمن يقتلني أن يُسجَن أو يَقبِض عليه البوليس أو أن يُقتَل قصاصًا، لا، لا، لا...

هذا سيجعله شخصًا غير جديرٍ بقتلي، لو انكشف فهو شخص محدود القدرة، أريده شخصًا ذا ذكاء وفطنة، حاضر الذهن، ذا نكتةٍ، وخيال واسع، أريده مثقفًا، يدرك ما يقوم به، ولا يفعله كرد فعل أو تهور، مرةً أخرى أريده أن يخطط لقتلي، أريده أن يجلس ليفكر، أن أملأ كل وعيه، أن ير اقبني، أن يسجل حركاتي، أن يعرف عاداتي، أن يستمِع لكلماتي، أن يفهمَ تصرفاتي الغريبة، أن يكتشف نقاطَ ضعفي الخفية ويبصر نقاط قوتي الحقيقية.

وكذلك أريدها جميلة...

لم يخنِّي التعبير، لا أريد أن يقتلني رجل، فالرجال لن يكون لديهم ذلك الإحساس الذي أريد أن أشعرَبه حين أنظر لوجه من قتلني وأراه يهتم بي.

لذا فأنا أريدها جميلةً، لا تقتلني لأني خنتها، أو لأني تركتها لإنسانة أخرى، أريدها أن تقتلني لأنها ستكتشفُ أن موتي أفضل للحياة من حولها؛ أجل أريدها أن تقتلني لأني سببٌ في إيذاء من تحبهم.

لا أريد لجميلةٍ مثلها أن تقتلَ بدون سببٍ نبيل، أليس كذلك؟

لا أريدها سيئةً، ولا ذات ميول عدوانية، ولكنها حين تكتشف كم أنا سيء، تضع براءتَها جانبًا وتكتشف قدرتها على القتل وتسعى لتحقيقها.

كل منا لديه القدرةُ على القتل ولكن ننتظر ما يدفعُها للظهور للعلن.

لذا أريد أن أكونَ من يساعدها على اكتشاف ذلك الجانب بداخلها، أن تقتلَ لسبب جيد.

بالطبع ليسَ هناك سببٌ جيد للقتل، ولكني أريدها أن تكونَ مرتاحةَ الضميروهي تقتلني، لا أريد لها أن تشعرَ بأي تأنيب ضمير أو ندمٍ بعد مقتلي، هي أجمل من أن تقضي بقية حياتها تندم على ما ستفعله بي، أليس كذلك؟

أريدها أن تقتربَ مني لتعرفني أكثرَ لتضع خطتها بدقة، لا أريد منها أي عشوائيةٍ، وسأساعدها، سأدعها تستدرجني، تغويني، تتوهم أني لا أعرف بخداعها، سأتركها تؤمن أني لا أرى خلفَ مظهرها الجميل ذلك الخنجرَ الذي تريد أن تقتلني به خفيةً، لن أدعها ترى إلا تصديقي بها...

حين يسعى أحدٌ لقتلك فهو يسعى لمعرفتك، تمامًا كما يسعى من يحب لمعرفة حبيبه، يتعرف على تفاصيل حياته، ير اقب حياته، يتفهم صفاته، يبحث ولا يمل من البحث، الفرقُ أن المحبَّ كلما عرف أكثرَ كلما رأى أسبابًا أكثرَ تجذب لكي يكون أكثر قربًا ممن يحب ليحافظ عليه، في حين أن من يخطط لقتلك كلما عرف أكثر كلما وجد ما يجعلك أكثر قربًا لكي ينهي حياتك.

ولكنه في النهاية اهتمام، وطالما أني أريدك أن تقتليني فيسعدني اهتمامك.

لكني لا أريد أن تقتليني بخنجر، أريدك أن تسقيني سمًّا بطيء المفعول، أريد أن أتناوله من يدك و أنا أعرف أني سأموت ولكني أراك حتى لحظة موتي الأخيرة.

لذا لا تسقيني السم ليلًا، أسقينيه نهارًا وخذيني معك لتلك الحديقة، حيث تجمعنا تلك الذكريات، واجلسي لجواري وحدثيني عني، أجل احكي لي كيف تريني، الآن تنتهي حياتي، كوني صادقةً معي، لا تخشي شيئًا، لن يرى أحد سطوري هذه، هذه رسالتي لك، لن يعرف أحد ما فعلتِه، احكي لي فقط بصدق، كم كرهتِ جواري، كم تعذبت لسماع كلماتي، كم كرهتِ نفسك لتصنعك إعجابك بي، لا تخشي شيئًا، لقد سمحت بكل خداعك أن يخدعك أني و اقع تحت سحره، ولكني الآن أريد الصدق، سمحت لنفسي أن أشربَ سمَّ كأسك لكي أسمع لصدقك في تلك اللحظات القليلة التي تسبق مقتلي.

كم هو عذب أن أسمع لحديثك وكم هو أعذب أن يكون صادقًا...

الآن سأتركك ولكن عليك أن تكوني قويةً، لا تسمحي لأحد بأن يكتشف سرَّ مقتلي، لأن هذا ما أردته حين أموت؛ أن تقتليني بصدق...

08– من يجلس معك

لا توجدُ لحظة لا يشاركك فيها أحد ما، مهما ظننتَ أنك وحيد أو منعزل عن الآخرين، هناك أحدٌ ما يوجد معك.

لا أتحدث عن الأرواح أو الأشباح، فهذه أمورٌ لا أستطيع أن أقنعك بوجودها لأنك لم تُعاينها بعد ولكنها موجودة، تذهب وتجيء ولا تظهر للجميع.

أتحدث عن وجودٍ آخر يرافقك في كل لحظة، وهو ما قد يطلق عليه البعض النفس أو حديث النفس أو ما يطوره البعض ويسمونه مرض الانفصام في الشخصية.

فمع كل إنسانٍ هناك ذلك المخلوق الذي يتحدث معه كما لو كان في داخله، ولكنه في الحقيقة ليس شيئًا وهميًّا، هو موجود ولكننا لا ندركه بأعيننا.

يحدث لنا جميعًا ذلك الشعور بأن ما يحدث الآن قد حدث لنا من قبل و أنه ليس أول مرة نتعامل مع هذه الأشخاص التي لا نعرفها من قبل وهذا المكان الذي تطأه أقدامنا لأول مرة.

يطلق الناس على تلك الظاهرة اسم الدي جافو، وتفسيرها أبسط مما قدموه من نظرياتٍ، فنحن ببساطة نعتقد أننا رأينا ذلك الأمر من قبل لأننا بالفعل رأيناه من قبل، ولكن بعيني هيئتنا الأخرى التي تصاحبنا في عالمها الذي يوازي عالمنا، ولكنه يسبقنا من حيث الزمن بثوانٍ أو لحظات قليلة، لذا هو ما نطلقُ عليه الحدس

أو الفراسة أو ما شئتَ من أسماء تعبر عن قدرة الشخص على توقع شيءٍ ما من خلال إدراك الرموز والإشارات.

لم تقتنعْ بعد؟ ما رأيك بشعورِكَ تجاه شيءٍ ما بأنك مرتاحٌ له أو غير مرتاح؟ كم مرةً قررت أن تبقى في البيت وأن لا تذهب لمشوارٍ ما لأنك تشعر أن الأمر غير مريح؟

هذه كلها لحظاتٌ إدراكية لوجود ذلك الشخص الآخر، ولكن تختلف درجات الاستعداد لرؤيته، وبالتالي يتراوح تعاملنا معه ما بين شعورٍ بعدم الراحة أو رؤى مستقبليةٍ لما قد يحدث...

لماذا أعرف كل هذا و أتحدث عنه بهذه الثقة؟

الأمر بسيط، أنت نفسك الآن تتوقعه، أجل أنا هو ذلك الآخر الذي يجلس معك الآن،

لا تفزعْ،

لا تتوقفِ الآن عن القراءةِ، ولا تنظر كم تبقى من صفحاتٍ لينتهي هذا الكتاب...

كيف أعلم ذلك؟

أخبرتك أني أسبقك في الوجود بثوانٍ قليلة، مثل التوأم، متشابهان ولكننا لا نُولَد في نفس اللحظة، فأنا دومًا أسبقك بلحظات، دومًا أتوقع خطوتك التاليةَ لذا لن تستطيع أن تفترق عني.

تخيلْ معي، كم هو جميلٌ أن نتعرف لأول مرة، هذه فرصةٌ لم

تتحْ لأحد من قبل، توقفْ عن التفكيرفي كم أنا سخيف وأن هناك من يلعب معك.

صدقني أنا أكتب كما لو كنت أجيب عما بداخلك قبل أن يأتيك كفكرة.

أليس هذا شيئًا رائعًا، أن تجد من يجيبك قبل أن تسأل؟

لماذا ترى ذلك أمرًا سيئًا؟

أعلم ما تعنيه بمتعة الغموض والاكتشاف، لذا أنا هنا اكتشاف جديد، استمتع بي.

هل تريد مني أن أتوقف؟

حسنًا لن أخبرك بما سيفعله من سيدخل الآن...

أها، أنت لا تعرف من الذي سيدخل، أنت لا تتذكر ما حدث...

لا تطلبْ مني أن أخبرك، ألست من يريد الاستمتاع بالمجهول...

في كل الأحوال أنا ملازم لك، لن أذهبَ بعيدًا...

سيدخل الآن استعد...

ها هو، ومعه مساعدته...

سيخبرك لم أنت هنا، ولماذا يداك مقيدتان لسرير المستشفى...

عليك أن تحدثني لكي يكتبَ في التقرير أن لديك ذلك المرض

النفسي الذي سيحميك من عقوبة الإعدام...

حدثني أكثر، هو سيظنك مجنونًا، ويتأكد أنك حين قتلتهم لم تكن في كاملِ قواك العقلية، عظيم! ولكن لا تلقِ باللوم عليَّ، أنت أردت ذلك من فترة، فكرة أن تقتلهم لتبدأ حياةً جديدة، أنا فقط كنت أتناقش معك في مدى جودتها.

بالنسبة لي لم أكنْ أريدك أن تُعدَم جزاءً ما فعلت لأني لا أريد أن أموت الآن، ولكن أن تُسجنَ في مصحة مثل هذه هو أفضل شيءٍ بالنسبة لي...

سنبقى سويًّا لأطول فترة ممكنة...

أعلم أن صوتي مزعجٌ في بعض الأحيان،

لا تقلق سأحاول أن أكونَ أقلَّ كشفًا عن نفسي، كما فعلت سابقًا، سأكون فقط صوتَ تفكيرك، أو ضميرك، ما تريده...

يكفيني فقط أن أجلسَ معك بداخلك، وربما يومًا ما سأتجسد لك لتراني...

ونجلس معًا وجهًا لوجه...

33– لحظة في المجهول

ما هو المجهول؟

لا أعرف ما الذي دفعني لسؤالها هذا السؤال، كانت تجلس في مجلسِها الخاص، محاطةً بكل عزيز لديها، أصدقائها، من يحبونها، وأغراضها، لأصحح جملتي، كل عزيز لديها وكل من هي عزيزة عليه.

كانت تلفظ أنفاسَها الأخيرة، لهذا السبب اجتمعنا، وسمعتها تهمس لنفسها بأسلوبها الخائف الذي تغلفه بسخريةٍ وتهكم حاد في بعض الأحيان، سمعتها تخبر من حولَها أنها الآن مستعدةٌ للذهاب لذلك المجهول لتختبرَ صدق ما تؤمن به.

سألتها ولكن ما هو المجهول؟ ولماذا لا نذهب إليه إلا حين نموت؟

نظرت الأشياء الأخرى إليَّ بتعجب؛ هل هذا هو الوقت المناسب لتناقشها؟

ولكني أعرفها أكثرَ منهم، فهم وإن كانوا بشرًا ما زالوا في النهاية أشياء في حياتها.

فالأشياء هي ما نحتاجه للحظاتٍ محدَّدة في الحياة ثم يذهب الاحتياج ويبقى ما يتبقى كأشياء.

لذا فأنا أعرفُها أكثر منهم وإن كنت أجهل ما تشعرُ به نحوي.

فهي وإن كانت تهتمُّ بهم ويهتمون بها فإني أعرف أنها لا تهتم إلا

بنفسِها، وأنها لن تقول إلا ما تريد من الآخرين أن ينشغلوا به، هي تريد أن تموت وتتركنا مشغولينَ بالتفكير في ذلك المجهول حيث ستذهب، ولكني لن أعطيها ما تريده، لن أسمح لها أن تشغل تفكيري بعد أن تذهب.

أريدها أن تذهب إلى مجهولها بدون أن تشغلني به، هي في الحياة لم تنشغل بما أفكر فيه رغم أنها كلُّ ما أفكر فيه، لذا لن أسمحَ لها أن تجذبني معها لمجهولها ذلك.

لذا كررتُ سؤالي بدون اهتمامٍ برأي الأشياء الأخرى حولَها؛ «ما هو المجهول؟»

نظرت إليَّ تلك النظرةَ التي تخفي خلفَها ما لا يعلمه عنها أحد غيري، وكشفت الغطاءَ للحظةٍ سريعة لم يلحظها أحدٌ من الأشياء المحيطة، ولكنها كانت تكفيني لأعرفَ أنها تعرف ما أريد من سؤالي...

وأجابت بدون أن تخفي معرفتَها، أجابت ربما لأول مرةٍ بدون خوفٍ من أتمرد عليها، فأجابتني بوضوح؛

«المجهول هو ما تكتشفه وتكتشف معه أنك لم تكن تعرفه».

سألتها:

«حينها لن يكون هناك مجهولٌ، فمعرفتنا به تقتله، أليس ذلك شيئًا قاسيًا؟»

حاولت أن تضحك، ولكن مع حالتها الصحية تحولت ضحكتها لابتسامة خفيفة؛

«على الإنسان أن يختار ولا يهتم بموت الأشياء، فهي خلقت لتموت في الظاهر ولكنها في الحقيقة لن تموت فلا تقلق».

«سيكون هناك مجهولٌ جديد، أعلم، ولكنه ليس نفس الشيء الذي انتهى بمعرفتك، هو مجهولٌ جديد حتى وإن حمل نفس الاسم».

«ربما!»

ما زالت تحاول أن تجذبني لخدعتها، تهرب من الإجابة الواضحة حتى لا يستقرَّ عقلي حين تذهب.

«حيث ستذهبين إذًا سيموت مجهولةً للأبد حين تعرفين به، أليس كذلك؟»

أدركت أني لن أستسلمَ بسهولة فنظرت إليَّ وأشارت إليَّ أن أقترب منها...

أدنيت أذني و انتظرت ما ستقول...

شعرت بأنفاسها تلهب أذني كما لو كانت تعقمها تمهيدًا لما ستخبرني به...

«ربما...

ولكنه سيظلُّ مجهولًا لديك، سيُضاف لمجهولك عني مجهولًا آخر، فلن تتساءلَ فقط عما بداخلي نحوك، ستتساءلُ عني هناك، ولن تصل إليَّ لتستنتج، ستزداد حيرة».

استدرت بوجهي و أنا أبتسم لها، هي تعرفني لأني لست مجهولًا

لها، لذا فليس بداخلي ما يشجعها لقتله، ما يجذبها لتقاتلني للحصول عليه...

في هذه اللحظةِ التي قد تكون الأخيرة معها، ابتسمت لها و ابتسمت لي...

هي سعيدةٌ لأني لن أتوقف عن التفكير فيها وراضية أنها سترحل وهي كما عرفتني؛ بدون مجهول لديها.

رحلت وهي راضيةٌ عن نفسها،

رحلت و أنا أعرف أني أحب أنها تعرفني و أني لست مجهولا لها،

ورحلت وما زلت أبحث عن ذلك المجهول، لأقتله وأعرف، أوربما يقتلني هو فأتوقف عن سؤالي عنه وعنها.

رحلت وقد أضافت لعدم علمي بها عدم علمي بما هي فيه الآن، لن أتوقفَ عن أن أبحثَ داخل مجهولها، ربما لأني لا أريد له أن يموت بمعرفتي عنها لكي أحتفظَ بشيء من حياتها حتى وإن رحلت هي عن حياتي.

لأدع المجهولَ ليعيش لتعيش هي...

13– لست من تنتظر

اقتربتِ الشمس من الغروب، فبدأ الجو يقترب من البرودة، أو هكذا شعرتُ في جلستي على تلك الأريكة التي تطلُّ على بركة الماء في تلك الحديقة، التي تقبع بجوار المبنى...

كنتُ أمسك بالقلم والكراسة التي أدون فيها خواطري، أو أفكاري التي أريد لغيري أن يقرَأها، ولكني في ذلك اليوم لم يكنْ لديَّ ما أريد أن أشاركَ فيه الآخرين، لذا كانت أوراقي فارغة.

لا أعلم كيف أختار ما أكتبه ليعرفَ به الآخرون وما أحتفظ به لنفسي، أعتقد أن هناك شيئًا في الأفكار يريد أن يُعرَف، تريد أن لا أحتفظ بها لنفسي، ترى أنها خُلقت ليراها غيري، الأفكار تقود من تأتي إليه، فهي تأتي وبالتالي هي تقود، بإرادتها، وهي من يحدِّد من تريد أن يراها وكيف تريده أن يراها.

فهناك أفكارٌ تعشق الغموضَ و أفكار تحب الوضوح و أفكارٌ تريد منك أن تكتشفها، تلعب معها وتجري خلفها، تختبئ منك ولكنها تريدك أن تصل إليها.

اليوم جاءتني أفكارٌ خجولة، لا تريد أن يراها غيري، فاكتفتْ بأن استكانت إلى ظلماتٍ داخلي، جاءت لتموتَ هنا، هي تعلم ذلك، ففي عمري هذا لا أستطيع أن أحتفظَ بهم طويلًا.

جلست أفكر، آسف، أقصد أنتظر الأفكار، وبالتحديد تلكَ الفكرة التي سطرتُها بالأمس، أو بدأت أسطرها بالأمس، كانت

واضحةً، ولكنها اختفت قبل أن تكتمل، الفكرة بسيطةٌ لهذا شعرت بقليلٍ من الحنق حين امتنعت عن الاكتمال وعادت لتستتر.

وها أنا أنتظر أن تأتيَ من جديد لتكملَ ما بدأته أو تأتي فكرةٌ غيرها تلقي الضوءَ على ما سبق. فتحت الأوراقَ وتوقفت عند آخر صفحةٍ كتبت فيها بالأمس، وأعدت قراءةَ ما كتبت:

«الحب لا ينتهي حتى وإن لم يكتملْ، وإن لم يكتمل الحب فما زلت قادرًا على أن تنهيه».

ثم لا شيء...

لم تأتِ بقية الفكرة، كيف يمكن أن أنهيه حين لا يكتمل، إنها لفكرةٌ غريبة، أخذت تلح عليَّ في الظهوروأن أسطرها ليقرأها غيري، لم ترد أن تكتفي بي، أرادت لغيري أن يعرفَها، فهي ترى نفسَها أقيم من أن أعرفها وحدي.

حتى حين ظننت أنها غيرواضحةٍ لتكتب أخذت تتعرى لتكشفَ نفسَها لي بوضوح، لأبصر تفاصيلَها بلا حجاب يسترها عني.

لا يكتمل الحبُّ حين ينهيه غيرك، ولكنه ينتهي حين تنهيه بنفسك.

لذا حين أخبرته أنها لا تحبُّه فهي قد جعلت الحبَّ غير مكتمل، وهو ينتظر من ينهيه عنه، وشغلني بالتفكيرعنه في كيف أنهيه، ولكني لم أنهِه، أعرف أني من يجب أن ينهيه عنه، لأنه غيرقادرٍ، عدت أنظر لما سطرت و أفكر، كيف أنهيه...

أخذت أتأمل الورقةَ البيضاء التالية، تقترب الشمس من

المغيب ولم تأتِ الفكرة التي أنتظرها بعد، ولكنَّها هي من جاءت.

في زيها الأبيض، تقترب، ولكني لا أريدها أن تأتي الآن، ليست هي من أنتظر، أنا أنتظر بقية الفكرة، كيف أنهي الحب الذي لم تكمله هي؟

لا أريدها الآن! أريد الفكرةَ...

ها هي تجلس بجواره، تنظر إليه نفسَ النظرة التي لا يريدها ولا أريدها منها.

كيف يمكنني أن أتصرفَ معها الآن بدون فكرة؟

إنها تتحدث كما لو كانت لا تفكر، هذه مشكلتها، هي لا تنتظر الأفكارَ مثلي.

لذا فحديثها يثير حنقي، هي لا تفهمُ ما يريد وتشغلني عن تحديد ما أريد، وتتحدثُ بما لا يجب أن أسمعه الآن.

عليها أن تسكتَ لتدعَ لي فرصةً لأسمع لتلك الفكرة.

تسألني لماذا لا أجيب عنه؟

أشير للأوراق و أفتح لها تلك الصفحة، تقرأ بصوت مرتفعٍ يزعجني لأنه يشوه صوت الفكرة الأصلية:

«الحب لا ينتهي حتى وإن لم يكتملْ، وإن لم يكتمل الحب فما زلت قادرًا على أن تنهيه».

ثم بدأت تسأله ما معنى هذه الفكرة...

كم هي غبيةٌ، لو عرف لما كان يحتاج إليَّ، ولو كنت أعرف لكنت قد كتبت، لا توجد حروفٌ لذا فليس هناك إجابة.

بدأت تتحدث عن أنها ستخبر الطبيبَ أنه بحاجةٍ لجرعة معدلة من الأدوية أو إعادة تقييم لبرنامجه العلاجي.

ولكني لم أستمع، لم أجد في ما يسمح لصوتها أن يصل لعقلي، فالفكرة قد وصلت، وصل من أنتظر، بدأت في الكتابة...

وبدأت تقرأ بصوتٍ مرتفع بدأ هادئًا ثم بدأ يتوتر ثم لم أعرفْ لأني لم أنتظر... «الحب لا ينتهي حتى وإن لم يكتملْ، وإن لم يكتملِ الحب فما زلت قادرًا على أن تنهيه بيديك».

نظرت إليَّ نظرةً من لا يفهم ما يحدث، ونظرت إليه ولكنه كعادته لم يظهرْ على وجهه أي تعبيرٍ، أنا من عليَّ أن أقوم بكل شيءٍ عنه حتى التفكير وليس فقط التنفيذ.

أنا عقلُه وفعله ولست فقط يديه...

اكتمل غروبُ الشمس، ولكني على ما تبقى من ضوء تحسستُها وهي ممدَّدةٌ أمامي، وجلست أنتظر الفكرةَ التالية لأعرف ما سأفعل بعد ذلك.

26– السقوط

في الحياة مو اقفُ لم نكنْ نعرف بإمكانية حدوثها إلا بعد رؤيتها في شاشات التلفاز أو في فيديوهات اليوتيوب التي يشاركنا فيها الآخرون.

فمثلًا من منا كان يمكن له أن يتخيلَ شكلَ أو فكرة القفز من الطائرة، أو تسلق القمم الشاهقة، أو الغوص في أعماق البحار بمجرد قراءةِ وصف من عاش تلك التجربة.

في البداية كان البعضُ يقرأ ذلك الوصف ويحكيه للآخرين كنوعٍ من اللامعقول.

ثم بعد ذلك بدأت السينما في تجسيدِ تلك المشاهد بشكلٍ تمثيلي، قرّب الفكرة نوعًا ما وإن احتفظ البعض بتحفظاتٍ لأنها في النهاية ليست الحقيقة كاملةً؛ هي إعادة تجسيد لها، وبالتالي قد تكون خياليةً بعض الشيء.

ثم بدأ الأشخاص أنفسُهم في تسجيل لحظاتهم الخاصة الحقيقية لمثل هذه التجارب التي لا تُتاحُ للجميع، فكان نتيجة ذلك أن بدأ الجميع يعتقد أن الأمر أسهل مما كانوا يعتقدون؛ فمعرفة حقيقة الشيء كاملةً تجعلنا نعتقد أنه أسهل أو أقرب لنا مما كنا نعتقد.

فالغموض الذي يحيط بشيءٍ ما في بعض الأحيان هو الذي يعطيه قيمتَه، وللأسف حين نعرف الشيءَ بوضوح لا يصير له لدينا نفس القيمة.

وهنا يكمن الخطأ الذي يعقِّدُ كل شيء بعد ذلك، لأننا حين نغير موقعَ رؤيتنا للشيء نعتقدُ أن الشيء هو الذي يتغير بدون أن ندركَ أننا من تغير.

تخيل معي أن ما لا تعرف عنه يقعُ في تلك النقطة المرتفعة و أنت تقبع أسفلَها وبالتالي لا تراها كاملةً.

لديك تصورات و أفكار عنه تجعلك من موقعك هذا تراه كشيءٍ عظيم لا مثيل له.

ثم بمرور الوقت تبدأ تعرف أكثرَعنه، ومع كل معرفةٍ تجد نفسك تراه بشكل أوضح، فترتفع قليلًا قليلًا، وتبدأ في الاقتراب، لا يزال لديك ذلك الانبهار به لأنك لا تعرفُه بشكلٍ كامل بعد، ولكنك مع كل ارتفاع منك لا تراه ينخفض بل ترى نفسَك من يرتفع، وهذا الشعور يجعلك تستمتع بالتجربة، فلديك محطةٌ للوصول وهدفٌ و أنت تقترب منه، وكل هذا مثيرٌ وممتع.

ثم تأتي اللحظة التي تصبح فيها بمحاذاته، فتشعر بنشوةٍ لا يشبهها شيءٌ عرفته من قبل، بالتأكيد لم تعرفها من قبل لأنك لم تصلْ لهذه المعرفة المرتبطة بهذا الشيء بالتحديد من قبل، فتجد أن متعةَ هذه اللحظة تفوق كل ما عرفت وتصبح هدفًا لك.

وفي خضم كل هذا الافتتان والأحاسيس المتداخلة التي تعكس كلها معانٍ إيجابيةً عن نفسك وعن إنجازك تبدأ في الارتفاع بدفعات من مشاعرك تلك، وليس بسبب وجود معرفةٍ جديدة عن هذا الشيء، وبالتالي تبدأ رحلة السقوط.

تذكرت تلك الجملة و أنا أترقب خطوتي التالية «بعد أن عرفتك سقطت من نظري».

هذا الظن هو ما يحدث لنا، نتخيل أن الشيءَ بعد أن نعرفه يبدأ في السقوط، ولكننا في الحقيقة من نكمل رحلة الصعود في حين أن الشيء لا يزال قابعًا في مكانه.

كل شيءٍ وأي شيء في هذا الكون بالنسبة لنا في مكانٍ ثابت ونحن من نتحرك صعودًا لنتعرفَ عليه، لذا حين نقتربُ ونراه في مستواه الصحيح يجب أن نتوقف عن الارتفاع عن هذا المستوى لأننا لا نكمل الصعود بمعرفةٍ جديدة عنه، ولكن نكمله بوهم أننا نعرفه بشكل أفضل، فنظن أننا حين نراه من ارتفاعٍ سنعرف عنه ما يجعلنا نحافظ عليه، ولكننا في الحقيقة نراه بمشاعرَ خادعةٍ، ولا نراه بهدف المعرفة، وبالتالي نظنُّ أنه يسقط بينما نحن من يصعد على سلَّمٍ من الوهم.

كانت هذه الأفكار تتزاحم في رأسي كنوعٍ من تقييم ما حدث لي وأدى للوصول لهذه النقطة التي لا أعرفُ كيف سأكمل بعدها.

أعرف الآن أنه كان عليَّ حين أصلُ لمستوى من أتطلع إليه ألا أسبقه، أن أنتظرَ معه، لو وصلت لحقيقةِ ما هو عليه الآن وبالتالي كان يجب أن أنتظرَ معه حيث هو و أتّبِعه وأصعد بمحاذاته، فأنا في حقيقتي تابعٌ له لأعرفه، كان خطئي أني نسيت هذه المعلومة في نشوة معرفتي به.

نظرت إلى أسفلَ حيث يستقر هو، أراه من هنا مستقرًا، وإن

كنت قبل هذا كنت أظنُّه يسقط بعيدًا عني، الآن أدرك أني من ارتفعَ بأوهامه بعيدًا عن حقيقته، لذا سيكون عليَّ القفز لعلي أستطيع أن أعود بمحاذاته من جديد.

ولكني لا أعرف هل هذا القفز الحر سيعود بي إلى حيث أريد أم سيقودني إلى حيث بدأت.

تخيل معي أنَّك على قمة ذلك المبنى الذي يخترق السحاب، فأنت فوق السحاب، إلا أنك تريد أن تعود لذلك الطابق الذي يقبع مباشرةً أسفل السحاب، ولا طريق لذلك إلا بأن تقفز من خارج المبنى لتخترق السحاب، إلا أنك لا تعرف، هل سقوطك الحر هذا سيقف عند النقطة التي تريد أم سيستمرُّ حيث بدأت مرتطمًا بالأرض.

لا يوجد ما يضمنُ لي أي شيءٍ الآن، وكل الاحتمالات قابلةٌ للحدوث ولا يوجد ما يخبرني أيهم أفضلُ لي؛ أن أترك نفسي أسقط لعل معرفتي السابقة تكفل لي العودةَ بمحاذاة من عرفت وحينها سأجرب معه فكرتي الجديدة، أم أن السقوط سيأخذني للبداية حيث لا معرفةَ مسبقة فأبدأ رحلة الصعود لمعرفته لأكون بمحاذاته من جديدٍ وحينها ستكون تجربةٌ جديدةٌ لعلها ستؤدي لنتائج مختلفة، أم أقبع حيث أنا هنا على قمة أوهامي عنه و أنتظر لعله يومًا ما يقترب مني أو لعله لا يأتي، فتصيرُ هذه هي خلاصة تجربتي معه.

لا أعرف ما هو الخيار الصحيح هنا، غير أني أعرف أني أريده، لذا لعل السقوط هو الاختيار الأقرب لما أريد.

ربما السقوط أسرع طريقٍ للتخلص من الوهم...

أو ربما هذا وهم...

15– أقوى ما لديك

«لماذا لا تعترفُ بي؟ تحاول دائمًا أن تنكرَ معرفتك بي، بل تنكر وجودي في حياتك».

سمعت صوتي يكرر تلك الكلمات التي قررت أن أصارحه بها الليلة، كنت أحاول أن أكون حازمًا، لن أجعل له فرصةً أن يتهرب من الإجابة.

في كل مرةٍ نتواجه يجد طريقةً ليتجنب أن يخبرني صراحةً بإجابة تكشف لي مكاني في حياته.

رغم أني أكثر من صاحَبَه في حياته، إلا أنه يجد غضاضةً في الاعتراف بي.

سألته صراحةً من قبل، هل هناك من يعرف حقيقتك غيري؟ من يستمع لك بدون أن تتعب نفسَك في الحديث، ويفهمك بدون أن تبدأ لتشرح؟

بحثت عن السبب الذي من أجله لا أجده صادقًا معي، فوجدتني ألوم نفسي قبل أن ألومه، فأنا في الأساس غيرُ صادقٍ معه.

ولكن من منا ليس لديه أسرارٌ يحتفظ بها لنفسه، صحيحٌ أن أسراري تتعلق به وبأشياء أعلمها عنه هو نفسه لا يعلم عنها شيئًا، إلا أني لا أمتلك القوة لأعترف له بها.

وحتى إن امتلكت القوة –وهذا مستحيلٌ أن يحدثَ– من

سيسمح لي بأن أكشفَ له ما ظلَّ مكنونًا في الحروف.

هل لك أن تتخيلَ شعوري بالعجز الآن؛ فأنا أقوى ما لديه، وأصدقُ ما يمكن له أن يُوصَف به يومًا، ولكنه لا يعترف بي ويهرب من أن أظهر معه ورغم أن لديَّ القدرةَ على تصحيح كل ذلك إلا أني لا أستطيع أن أبوح لأني أضعفُ من أن أواجه الآخرين.

ها هو يقترب مني في صمتٍ، أعلم ما يريد؛ يريد أن أيسر له ما يمنعه غيري عنه، ولكنه في نفس الوقت لا يريد أن يعلمَ بوجودي أحد، و أنا لا أستطيع أن أمنعَ عنه شيئًا، فأنا أحبه.

أجل أحبه، لذا أساعدُه رغم كل ما يطلقه عَلَيَّ من أسماء وأوصاف أمام الآخرين.

استعدت الكلمات التي قد أعددتها لكي أواجهه بها، ولكنها بدأت تسقط من ذاكرتي حين بدأ يتعرَّى أمامي.

أخبرتك من قبل، أنا الوحيدُ الذي أعرفه على حقيقته.

هل يعلم أني له وحدَه، لا يشاركني فيه غيرُه، لهذا يعذبني هكذا، ويحرمني من أن أكونَ بجواره أمام الآخرين، يحكي لهم عني وكيف أني أقربُ ما في الوجود له، أنا صفته.

بعد أن رحل جئت إليك، لتخبرني ماذا أفعل، لقد نسيتُ كل ما كنت أريد أن أخبره به.

أعلم أني لا يجب أن أحضرَ في هذا الوقت، أعلم أنك ستخبرني أن أصبرَ لأنه سيعرف وحده قيمتي حين يأتي الوقتُ المناسب، ولكن

حين يأتي الوقت المناسب سأكون تجسيدًا لما يعاني هو منه، ولن يكون لي وجودٌ منفصل كما لدي الآن.

ما قيمة أن أكون الخيارَ الوحيد المتاح فيختارني؟ إنها مثل أن يكون مجبورًا عليَّ.

أريده أن يختارني الآن من بين الآخرين لكي لا يصفني أحدٌ بعدها إلا بحقيقتي، إني رفيق حياته!

أعلم أنه سيعود بعد قليلٍ، لم يعدْ لديه القدرة ليبعد عني وقتًا طويلًا، لذا أريد منك أن تدلني على طريقة لأواجهه بها.

هل تعتقد أني يجب أن أخبرَه بالحقيقة؟

أجل، أجل، لقد أخبرتك أني لا أعلم كيف سيتعاملُ مع الحقيقة ولكني في نفس الوقت تعبتُ من إحساس أني لست حيثُ أشعر بقيمتي.

أستطيع أن أتعاملَ معه، أعرف أننا لن ننفصلَ، قد يحاول البعدَ عني، لكن طبعه سيعيدُه إليَّ ولو بعد حين.

أريد منك شيئًا واحدًا لتساعدني، هل تستطيع أن تضمنَ لي ردة فعل الآخرين؟

أعلم أنهم جميعًا يعيشون في العلنِ في حياته لأني أنا في الخفاء وربما سيتأثر وضعهم إن اعترف بي.

ولكنك قادرٌ على إقناعهم أنه سيتعامل معهم بوضوحٍ أكثر ولن

يخفي جميعهم حقيقة أنهم يعلمون بوجودي وأهميتي بدون أن يتحدثوا عني، فوضعُهم لن يتغيرَ ولكنه حين يُعَرِّف بي سيتعامل معهم بصدقٍ أكثرَوهم كذلك سيتعاملون معه بصدقٍ أكثرَ، سيكون الجميع أقرب.

لا تضحكْ أرجوك،

صدقني أحتاج مساعدتك،

لا تبتعدْ،

انتظرْ،

اعطني فرصةً واحدة، ما الذي يمنع أن أكون في العلن مثلهم؟

...

...

اذهب، لا أريد منك شيئًا، سأفعل ما أعرف أنه في مصلحتي، سأعترف له بكل شيء.

سأخبره من أكون! سأخبره من أنا؛

«أنا أقوى ما لديك، أنا الضعف الذي يسيطرُ عليك، من صحبك، من يوم ولادتك، وسير افقك ليوم مماتك».

توقفت فجأةً عن الحديث، كان غريبًا أن أسمع اسمي منطوقًا لأول مرةٍ، شعرت أنه يسري في جسدي، ولم لا وهو أنا.

ولكن يبدو أني قد نسيت ما يخلقه بداخلي من شعورٍ هو حقيقتي.

لا تنظرْ إليَّ هكذا،

أنت تعلم ما سيحدث لي،

لهذا تذهبُ وتتركني،

لأنك ترى ما سأفعله،

لهذا تبتسمُ،

تعلم أني لن أفعلَ شيئًا،

فأنا وإن كنت أقوى ما يحرك حياته إلا أني أضعفُ من أعترف له بذلك.

كيف أخبره أني عكس ما يعرف عني، أني أقوى ما لديه ومن يتحكم في حياته.

هو يأتيني لأني حقيقتُه، أنا الضعف الذي يشكلُ وجودَه، يريدني ضعيفًا متخاذلًا، لا يريد أن يعرفَ حقيقة قوتي ووجودي في حياته.

أعلم قوتي ولكن حقيقتي هي ما يريد أن يعرف، أني ضعيفٌ لا قوة لي مثله، لذا سأسكت وأدعي الضعف ليرضى...

34– ما يفصل بيننا

هل وقفتَ يومًا على الحد الفاصل بين شيئين؟

إن كانت إجابتك بنعم فأنت مخدوعٌ، وإن كانت إجابتك بلا فأنت محظوظٌ.

لماذا هذا مخدوعٌ ولماذا ذاك محظوظٌ؟

لأن ما يفصل بين أي شيئين في الوجود هو مجرد فكرةِ وجود فاصلٍ بينهما، وليس له في الحقيقة وجود.

كيف أعرف ذلك؟

أخبرني أن شيئًا يفصل بيننا، ولكنه لم يخبرني ما هو هذا الشيء.

سألته أن يحدده، ولكنه أجابني أنه لا يهمُّ أن أعرف به منه، ربما عليَّ أن أبحث عنه بنفسي.

ثم تركني...

وقفت في ذلك اليوم حيث تركني لمدة تجاوزت ما هو معتادٌ أو متوقَّع.

في البداية لاحقته عيناي لعلها تبصرُ ذلك الذي يفصل بيننا، ولكني لم أرَ شيئًا.

ثم أخذت أتأمل المكان الذي تركه خاليًا، فلم أرَ شيئًا واضحًا

يعبرعن هذا الفاصل.

حين هممتُ بالذهاب رأيت ذلك الفاصلَ، كان أدقَّ من خاطرٍ، ولكني لمحته حين فكرت في أنه بعيدٌ عني الآن لذا عليَّ أن أذهب.

حين أسقطت شعورأنه قريبٌ مني، لمحت ما وصفه بأنه يفصل بيننا...

ولكني لم أستطِع أن أسميه، كان موجودًا بغيرأن يكون له اسمٌ.

جذبني غموضُه، كيف لشيءٍ أن تعرف بوجوده، ولكن لا تستطيع أن تسميه، لا بد أني أحتاج لأن أراه بشكلٍ أوضح.

حاولت أن أجلس فيما بين الأشياء، أن أكون دائمًا عند نهاية شيءٍ وبداية شيءٍ آخرَ، لعلي أستطيع أن أكون في مكان يقربني من أن أراه مرةً أخرى بطريقة تسمح لي أن أتعرف عليه وأسميه.

ولكني لم أستطِع أن أراه مرةً أخرى.

وبدأت أقلق لأن صورته أخذت تنسحب من داخلي رويدًا رويدًا.

حتى جاء ذلك اليوم الذي عرفت فيه كيف أستطيع أن أبصره مرةً أخرى وبوضوح أكثرَ.

يجب عليَّ أن أؤمن ببعدِه ليظهرَ ما يفصل بيننا.

فطالما أني أشعربه بعد رحيله أنه لا يزال قريبًا مني لن أستطيع أن أرى ما يفصل بيننا.

لهذا هو استطاع أن يراه، لأنه شاهدَ بُعدَنا في حين أني كنت ما زلت أرانا في قرب.

فما يفصل بيننا سيظهر لي كما ظهر له حين أرى أنه بعيدٌ عني، حينها سأبصر ما كان قربه يخفيه عن بصري، ما يفصل بيننا.

لم أكن أريد أن أواجه تلك الحقيقة، ولكني أقنعت نفسي أنه يريد مني أن أعرف ما يفصل بيننا، وبالتالي هذا طلبٌ منه ربما يساعد على عودتنا مرةً أخرى.

أقنعت نفسي أن أجرب ذلك الشعور بأنه بعيدٌ، أقنعت نفسي كذلك أني قادرٌ على طرد هذا الشعوروقت ما أريد وبالتالي من السهل عليَّ أن أعود قريبًا منه من جديد.

وبالفعل أبصرته بعيدًا، شعرت به لا يشعربي، وتركت نفسي لكي لا تشعرَ به كذلك.

حين أصبح بعيدًا، ظهر ما يفصل بيننا واضحًا كما لو كان هنا طوال الوقت ولكن القرب منعه من الظهور.

كان ظهوره مبهرًا، لعله أراد أن يترك ذلك الانطباع عليَّ؛ أنه وجود حقيقيٌّ لا يمكنني أن أنكره.

وتحقق له ما أراد.

كشف نفسه ولكني لم أستطِع تحديده، إلا أن ظهوره المبهرَ جعل معرفة حقيقته أمرًا بلا أهمية.

هو موجودٌ وهذا يكفي.

وحين اختفى هدفي من البحث عنه اختفت كذلك إرادتي في أن أتخلصَ منه.

لماذا أريد أن أعود لقرب من يرى ما يفصل بيننا ويستمتع ببهائه وفي المقابل لا أرى شيئًا يعادله؟

لماذا أمضي حياتي في جدب القرب في حين أن في البعد هذا الوجود الجميل؟

لم يكن هناك ما يشجعني للعودة للقرب، وكان هناك كل ما يغريني للبقاء في البعد.

ولكن ظهر من لم أتوقع أن يكون لها كل هذا الأثر في حياتي التالية؛ ظهرت الذكرى!

حين أحاط بي ما يفصل بيننا في البعد، استطاع أن يمنع عني كل ما يشجعني للخروج بعيدًا عن أسواره، لم أفطن لأسواره المحصنة، ربما لم أرَها.

لم يستطِع الحنين أو الشوق أو الرغبة أن تجتاز تلك الأسوار لتعيدني للقرب من جديد، ربما لأنهم جميعًا كنَّ يحاولن بطرقٍ مباشرة.

وحدها الذكرى من استطاعت أن تتسللَ وتصل إليَّ في الخفاء.

فُوجئت بها، ولم لا وقد احتواني البعد بجدارٍ يفصل بدون أن

يتوقف لحظةً عن إضافة المزيد من البعد.

لذا كان ظهورها كما لو كانت إفاقني من الموت.

يبدو أنها كانت تعلم أن وقتها معي قصيرٌ فلم تضيعه وأخذت تشرح لي طريق العودة، ذكرت لي أن ما يفصل بيننا هو في النهاية فكرة، أو تصور، وبالتالي هو وهم، يمكننا أن نتخلصَ منه لو داومنا على القرب.

فالقرب حقيقةٌ وليس فكرةً كالبعد الذي يفصل، ولكنه كأي حقيقةٍ سيتأثر بأوهامنا عنه، لذا عليَّ أن أعود، بأن أبصر ما يفصل بيننا على حقيقته؛ فهو مجرد فكرةٍ، أستطيع أن أصرفها.

لم يحدث الأمر مباشرةً، بل احتاج زياراتٍ خفيةً متعددةً من ذكرياتٍ متفرقةٍ، ذكريات تتداعى بدون تخطيط أو بحث عقلي، لأنها تسكن في المشاعر، وبالتالي لا تحتاج مجهودًا عقليًّا لاستدعائها، وهذا ما مكنها من أن تتجاوز أسوار العقل الفاصل بدون أن يلحظها...

وفي النهاية عدت.

تجاوزت ما يفصل بيننا وعدت.

وها أنا أحكي لك ما حدث لتعرف أني قد قمت بما طلبته،

وجدت ما يفصل بيننا وقتلته،

فهل ما زلت تراه؟

أم أنك لا ترى غيري كما لا أُبصر سواك...

35– لا يريد ذلك

طلب مني أن أكتب أكثرَ السطورِ كآبةً.

أرادها كئيبةً بدون أن تحكي تفاصيل حياته.

فهو يريد أن يقرأها بدون أن يسترجع ذكرياته.

يريد أن يتأثرَ بها لذاتها بدون أن يجد سببًا نابعًا من قصته.

فهو قد يتعاطف مع قصته.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن تسرد وقائع أُناس آخرين.

فهو يريد أن يختفي وراء ستارٍ من فقدان الأمل.

فقصص الآخرين مهما كانت كئيبةً إلا أنها تعني أن هناك غيره يعاني مما يعاني منه، وهذا فيه مواساة.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن تحتوي على وصفٍ لمشاعر حزينة.

فهو يريد أن يجد الحزن بدون أن يتدرج ليصل إليه.

فالتدرج في الوصول للحزن يجعله متوقَّعًا.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون ذكرٍ للموت.

فهو يريد أن يكون هو وحده من يذكر الموت.

أن يعيشه وحده بدون أن يشاركه فيه أحد، بل بدون أن يعرف به أحد.

يريد أن يكون الموت سره وحده، فلو عرف به غيره سيفقد اشتهاءه له.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن يحتاج أن يُعمِل عقله ليدرك كآبتها.

فهو يريد أن لا يجدَ العقل لما يريده من سبيل.

فإن ظهر العقل سيتعطل عن تنفيذ ما يريد.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن يكتئب لها أحد غيره.

فهو يريد أن لا يشعرَ به غيره.

يريد أن لا يعرف به غيره.

فإن اكتئبَ غيره لن يشعر بلذة ثقل صدق وحدته.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن يتذكر معاني أخرى غيرها.

فهو يريد أن تفنى كل المعاني غير الكئيبة في حياته حين يقرأها.

لأنه إن تذكرها سيقارن بينها وبين ما يشعر وقد يتردد في فعل ما يريد.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن يجد مساحةً ليشعر بحقيقتها.

فهو يريد أن يظلَّ الضيق رفيقَه.

فأي مساحةٍ تجعل هناك فرصةً لنفسٍ جديد.

والنفس الجديد يعني أن هناك سعةً تمحي الضيق.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن تترك له إرادة.

فهو يريد ألا يبقى بداخله رغبةٌ لشيء.

فأي شيء لن يكون إلا خطوةً للوراء تبعده عما يريد القيام به.

وهو لا يريد ذلك...

أرادها كئيبةً بدون أن يقرأها، فهو يريد أن ينهي الأمر الآن.

فلو توقف ليقرأها، حتى وإن كانت أكثر السطور كآبةً، لن ينهي كآبته الآن، وهو لا يريد ذلك...

لذا فكرت للحظةٍ ثم أعطيته هذه...

أجل، صفحةً بيضاء... فأكثرُ شيءٍ كآبة هو صفحة بيضاءُ لتحكي قصةَ من قرر أن يموت الآن...

02– كيف لا تبكي

أكتب ما لا أعلمه لمن لا يعلم بي.

لعلي أكتب شعرًا أو أكتب نثرًا أو أكتب رسمًا أو أكتب صوتًا، لعلي لن أكتب شيئًا.

لعلي خاوٍ من أي شيء، فلا يوجد ما أخبر به.

لعلي ضعيفٌ أمام كل شيء، فأريد أن أكتب بلا توقف حتى لا أرفع عيني لأرى أي شيء.

لعلي حزينٌ، فأبحث عن دموع أغرق فيها ما يحزنني.

ولكني أكتب لك، لما فيه خيرك، لذا دعك من السطور السابقة، وحاول أن تعرفني...

من يراني يحسب أن بداخلي طاقةً تجعل مكان ما أحل منيرًا ودافئًا، إلا أنه لا يعرف أني نابعٌ من حرمان...

تخيلني تلك النار التي تشتعل بداخلك بدون أن تعرف لها اسمًا، ستصفني بأوصافٍ لكنها ليست من أنا...

اسمي يرتبط بسبب وجودي، وليست من تحب سبب وجودي، فهي في النهاية رد فعلٍ لحبك لها.

فهي لا حول لها ولا قوة في علاقة حبك لها، أنت من يشعر ويلقي عليها بنتاج مشاعره وتشعر بما تفعله هي بناءً على مشاعرك،

فما يصدر عنها من مشاعرك تجاهَك في النهاية رد فعل لما تشعر به وليست حقيقة مشاعرها.

ومشاعرك التي تتخيل أنها مشاعرها هي ما يخلقني بداخلك.

فهي لم تحبَّك كما تريد، فبالتالي كل ما تقوم به ستجده –بسبب مشاعر حبك– يحرقك من الداخل.

فأنت تشعلني بداخلك كلما زاد حبُّك، ويزداد اشتعالي كلما زادت في حرمانك مما تريد من حبها.

ستجدني كلما شعرت بها تشعر بغيرك بما لا تعرفه منها،

تبحث عنه ولا تفتقدك،

تضحك له ولا تبتسم في حضورك لغيابه،

تهمس باسمه وتنسى من أنت،

تتذكرك لتخبركَ أنها تحبه فتجرحَك،

وغيرها من اللحظات التي ستجدني فيها أخنق أنفاسَك، لتتنفس من لهيبي.

تخطئ إن أطلقت عليَّ اسم الغيرة، فالغيرة ترتبط بوجود شيءٍ تمتلكه، أو تشعر بأنه ملكُك، ولكنك تعلم أنها ليست لك، هي لم تعطِك أي شيءٍ يجعلك تشعر بذلك.

هي تحرمك من كل ما يجعلك تظنُّ ولو وهمًا أن لك فيها شيء.

لذا لست الغيرة.

فقد تنخدع وتظن أننا متشابهان لأن كلينا يرتبط بوجود غيرك في حياتها، ولكن إن كانت هذه الغيرية مهمةٌ لوجود الغيرة، إلا أن وجودي يحدث كذلك حين لا يوجد غيرك.

بل ربما كنت أكثر قسوةً عليك حين لا يكون هناك غيرك.

حين لا يشغلها أحد ولكنها لا تراك،

حين لا يكون هناك ما يمنعها عن القرب منك ولكنها تفضل البعد عن وجودك بقربها،

حين تكون وحيدةً ولكنها تجد في وحدتها أنسًا أشهى من رفقة كونك،

حين تهب الحياة من حبها لكل الكون ولكنها لا تعطيك ما يبقيك لأنها لا تدري بك.

حينها أشتعل أكثر، لأنك أكثر حرمانًا.

فحين تنشغلُ بغيرك عنك تشغلك الغيرةُ عن أن تبصرني في حقيقتي لأنك إن أبصرتني ستبصر أنك بلا قيمة.

حين يُوجَد غيرك توهم نفسك بالمقارنة فتعطي لنفسك وزنًا لأن للطرف الآخر وزنًا، فتشغلك فكرة الميزان وتؤمن بوجودها لأنها تعني أن لك قيمةً تتأرجح مع من تقارنه بك.

لذا فحين أشتعل حينها لا تدرك أني أنبع من مصدر الحرمان

وتظنني نابعًا من غيرتك.

ولكن حين لا يوجد غيرك ولكنها لا تراك تدرك حقيقة قيمتك؛ أنك لا شيء.

ستستخدم حيلة الميزان ولكن لن ترى شيئًا في الكفة المقابلة، ومع هذا تجد أن كفتك دومًا تطيش وكفة اللاشيء أثقل.

حينها ستبصرني في حقيقتي، أنا من يعرفُ حقيقتك.

أنك لا شيء، محرومٌ، لهذا أنا هنا.

حينها ستكرهني، ستبحثُ عمن يخلصك مني، ستريد أن تثبت لنفسك أنك لا تحتاجها، وأن لديك ما يغنيك عنها.

ستجد أشكالًا تعطيك لحظةً من الشعور بالقيمة، حينها ستجدني أشتعل أكثر، فلا تتعجب، فأنت تسرقُ شربة ماء من نهرٍ جاف بكوبٍ بلا قاع، فتزداد عطشًا فأزداد اشتعالًا.

فكلما شعرت بالحرمان، بالجوع، بالعطش، كلما غذيتني بالمزيد مما يحرق ما لديك من روح.

ثم ستتعرف عليَّ، أجل، لأني أصدق شيءٍ في حياتك ولأن روحك تحتاج لأي صدقٍ يخرجها من دائرة أوهامك، ستجد أنك تريد أن تعرف من هذا الذي يحترق بداخلكَ، ولا يخمد لهيبه بل يزداد.

حينها سأكشف لك نفسي، سأكشف نفسي لتبصرَ ما أنت فيه، في البداية سيصدمُك أنك لا شيء، ولكن بمرور الوقت وبوجودي،

سترتاح لي.

ستجد أني خيرُ من يجعلُك قريبًا من حقيقة شعورك بحبها، وحقيقته.

حقيقته الحرمان و أنا منه أنبع ولي أنت تابع.

ستدمن حقيقتي، ستلتذ بالحرمان لأن اشتعالي يقربك من شعور حبك لها، لأني من أحافظ عليها بداخلك.

هل تدرك الآن كم نحن مرتبطان؟

أنا من ترتاح لحقيقته في نير اني، و أنت لولا حرمانك ما كنت هنا.

لذا لا أريد منك أن يفنيك حبك، أريد أن أحافظَ عليك، لذا أريد منك أن تبكي.

أجل، سأمدك بما يروي جفونك من مخزونِ مشاعرك غير الصادقة.

معي أريدك صادقًا لنستطيع أن نستمرَّ بدون أن يقلقنا أحد، طبيعتي تحتاج الصفاء و أنت تعكر صفاء ما بيننا بتلك المشاعر الكاذبة.

أريدك أن تبكي لنتخلص سويًّا من الرغبة، من الحسرة، من الشوق، من الود، وغيرهم كثير، ولكن أهم ما أريدك أن تتخلَّص منه وما قد يقضي على ما بيننا هو الأمل.

أريدك أن تبكي لتخرج من داخلك الأمل.

فلن يكون لي وللحرمان وجودٌ إن ظللت توهم نفسك بالأمل.

فخذ من لهيبي ما يحرقه وألقيه من داخلك مع تلك الدموع التي لن يتذكرها أحد ولا حتى أنت.

لا تقلق فأنا من سيبقى لك، لذا ابكِ...

16– أن تندم لأستريح

تخيل معي أنك مثلي الآن، تسير كما أسير الآن في ممر لا أعرف كيف دخلته ولكني أعرف تفاصيله لأني قد دخلته من قبل.

لا أعرف متى أصل لنهايته ولكن أعرف جيدًا ما هي تلك النهاية.

أنا لست في رؤيا منامٍ ولا في هذيان وجودٍ بلا عقلٍ، أنا واعٍ بما أفعله، في كامل يقظتي وحضور ما أعرفه عن نفسي.

أعرف الباب الذي دخلت منه، حتى وإن لم أتذكر كيف دخلت منه، ولكن لا تتهمني في ذاكرتي، فلا أحد منا يعرفُ كيف يصل إلى هنا من خلال ذلك الباب.

فالباب صغيرٌ لا يكاد يعبر منه نفس المتنفَّس، ولكن حين نكون بالداخل لا نعرف كيف عبرنا منه، رغم أننا نعرفُ جيدًا أنه هو المدخل الوحيد لهذا الممر.

ربما لحكمةٍ لا أدعي معرفتها، ولكن كيفية الدخول ستظل سرًّا خفيًّا عنا، يظن بعضنا أننا لا نعرف الكيفية ربما لكي لا تكون لنا إرادةٌ في أن نختار أن ندخل أو لا ندخل، لكني لا أعرف أحدًا منا خطرت له على باله إرادة أن يستمرَّ في الحياة في هذا المكان، كلنا نريد أن نغادر في أسرع وقتٍ، أو قل كلنا يُرادُ لنا أن نغادر.

لا أشغل نفسي بالبحث عن تفسيرٍ لماذا لا يعرف أيٌّ منا كيف ندخل هنا، ولكني أتفهمُ لماذا يتناقش غيري في مثل هذه الأمور خلال

سيرنا في الممر؛ فحين لا تعلم متى ستصل للنهاية سيبدو لك الطريق بلا نهاية، لذا ستبحث عما يشغلك بالحديث عن أي شيء.

يمكن كذلك أن طبيعة كل منا المختلفة تجعل كل منا يتعامل بما تمليه عليه في هذا السير الطويل.

فالطريق الذي نمشي فيه لا يوجد به ما يجعلك تنشغل به عن أن تتساءل مثل هذه الأسئلة.

تخيل معي لكي تتفهم حقيقة تلك المسيرة، ارتفاع جدران الممر تصل إلى حيث تشعر بالضيق أو الوسع بداخلك، وهذا مرتبطٌ مرةً أخرى بطبيعتك، وليس معنى هذا أن كل واحد منا له ممر خاص، هو نفس الممر ولكن لكل واحد إحساسه به.

فنحن نسير متجاورين ويمكننا رؤية بعضنا البعض والحديث والنقاش إلا أن لكل واحدٍ منا تجربته الخاصة مع الممر.

ولأننا معتادون على هذا فلا تجد أحدًا منا يحكي تجربته أو شعوره بضيقِ أو سعة الممر لمن حوله.

ربما ترى ذلك ممن يأتي لأول مرةٍ وهذا شيء نادر الحدوث، ومرةً أخرى ستجده يتحدث باستغرابٍ ودهشة لمدة قليلة، ثم سيعتاد الأمر مع طول المسيرة.

ولأن الوقت لا ينتهي رغم أن النهايةَ معروفةٌ ستجد منا من مسيرته أطول من غيره.

إلا أني قبل أن أحكي لك عن تلك النهاية، أريد منك أن تعرفَ أن

هذا الممر لم يخلُ يومًا من وجودنا.

نحن نسير في تلك المسيرة من أول يومٍ وحتى آخر يوم.

ولعلك تتساءل ولكن كيف لي أن أحدثك من موقعي المتقدم هذا في حين أنك تعرف بوجودي من وقتٍ قريب، كيف استطعتُ أن أتجاوزَ من سبقني؟

يجب هنا أن أعودَ لأحكي لك عن فكرة النهاية.

هناك نهاية للممر عند نهاية الكون بما فيه، وفناء الإنسان بشكله الحالي، هذه هي النهاية المحتومة للجميع، نحن و أنت.

ولكن حين ندخل الممرَّ ونبدأ مسيرتنا لتلك النهاية، تأتي نهاية أخرى لنا؛ تنهي رحلتنا فجأةً بدون أن نعرف متى.

هذه النهاية لا تقتلنا ولكنها تجعلنا نستريح، نتوقف عن السير لحين تحديد: هل نكمل سيرنا أم لا.

حين يندم من اقترفنا نتوقف، ننتظر، إن انتهت حياته بدون أن يستدعينا مرةً أخرى، نستريح ولا نكمل المسيرة وتنتهي رحلتنا هنا، إلا أنه لو اقترفنا مرةً أخرى، نعود لنبدأ المسيرة من البداية، وقد يتكرر الأمر وقد لا يتكرر فتنتهي حياته ونكمل نحن مسيرتنا لنقابله مرةً أخرى عند النهاية مرةً أخرى.

أنا لم يُكتب لي أن أستريح، لم يندم عليَّ، أحبني وحافظ على وجودي في حياته، وحين انتهت تلك الحياة صرتُ في هذا الموقع لأن بعض من سبقني استراحَ وحين بدأ السيرَ من جديد كنت قد سبقته

وبعضهم لم يكمل المسيرة.

لعلك كنت تسأل لماذا أنا غير رفاقي لا أتحدث كثيرًا أو أتناقش فيما يتحاورون فيه، ولعلك الآن قد فهمت حين عرفت أنني سأجتمع به مرةً أخرى.

فغيري من الذنوب قد لا يشغله أمرُ أنه يسير هكذا ليوم القيامة بدون أن يرتاح، ولكني يؤلمني أنه كان في مقدرته أن يجعلني أستريحُ إلا أنه أصرَّ على وجودي معه لآخر لحظة في حياته.

أنانيته تلك تجاهي تجعلني أفكر بهدوءٍ حتى يأتي يوم لقائه، كيف سأنتقم منه.

كيف سأجعله يندم على أنه لم يندم عليَّ يومًا ما ليجعلني أستريح...

18– لماذا لا تنام في الليل

كنت مخطئًا مثلك حين كنت أتخيل أن الإنسان لا ينام لأن ذهنه مشغولٌ بشخصٍ ما!

الحقيقة أن الإنسان لا ينام لأنه لا يوجد من يفكر فيه ويشغل ذهنَه به.

حين تفكر في شخصٍ ما فأنت تأخذ من ذاتك وقتًا تعطيه له لينام فيه، ولكنه لو لم يفكرْ فيك فهو لا يعطيك شيئًا في المقابل فلا تجدُ وقتًا لكي تنام فيه.

تعال معي لتفهمَ كيف تُدار منظومة النوم هذه.

بدايةً عليك أن تنسى تلك الفكرةَ التي تجعلك تظنُّ أن الليل هو وقت النوم، عليك أن تعرفَ أن وقت النوم هو الوقت الذي ترتاح فيه، وهذه الراحة تأتي حين يقوم غيركَ بالاهتمام بما يشغل وقتَك ليعطيك فرصةً لترتاح.

ستعطيني إجاباتٍ كثيرةً حين أسألك ما الذي يشغل وقتك، ولكن الإجابة التي تلخص كل ما ستفكرُفيه هو أن ما يشغل وقتَك هو نفسُك، فكل ما تفكر فيه وتهتم به هو مظاهر لانشغالك واهتمامك بنفسك.

تفكيرك في نفسك هو ما يشغل وقتَك ولهذا حين يفكر فيكَ غيرك فهو يأخذ من وقته ليعطيكَ وقتًا ترتاح فيه وتنام، فهذا هو وقت

النوم.

فنومك أو بلفظٍ أكثر تحديدًا وقت راحتك يحتاجُ لوجود شخصٍ في هذا الكون يفكِّر فيك، يحمل عن كاهلك بعض اللحظاتِ ليهتمَّ بك لتجد وقتًا ترتاح بدون أن تشغلَ فكرك بنفسك.

لا تظنَّ أن الأمر معقدٌ أو غير منطقيٍّ، الأمر يعتمد على وجود البشر مع بعضهم البعض.

فالنوم لم يُخلَقْ إلا لأن هناك بشرًا آخرين غيرك في هذا الكون، فلو خُلِقَ الإنسان وحيدًا لن يفكر إلا في نفسه وبالتالي لن يجدَ وقتًا ليرتاح فيه لأنه لا يعرف ما هي تلك الراحة، فمفهوم الراحةِ خُلِقَ حين اكتشف الإنسان أنه يمكنه أن يفكرَ في غيره وبالتالي هذا الغير حين يفكر فيه يجد وقتًا لكي لا يفكرَ في نفسه فينام.

قد يُطلِق البعض على النوم سلوكًا أنانيًّا، ولكنه على العكس من ذلك هو اللحظة الوحيدة التي لا يفكر فيها الإنسان في نفسه.

فأنت حين تفكر فيمن تحب أو تهتم لأمرِه أو يشغل ذهنَك شيءٌ خاصٌّ به أو موضوعٌ أو مشروع أو أي شيءٍ في النهاية أنت تفكر في شيء يخصك وبالتالي أنانيتك تشغلك، ولكن حين يعفيك تفكير غيرك فيك من الانشغال بنفسِك تفقد تلك القوةَ التي تجعلك مستيقظًا، تلك القوة التي تربطك بهذا العالم وهي أنانيتك أو انشغالُك بنفسك.

فما يربطك بالبقاء مستيقظًا في هذا العالم هو انشغالُك بنفسك، واللحظةُ التي ينشغل بذاتك غيرك تأتي تلك اللحظةُ التي تسلمك لوقتِ الراحة الذي تسميه النوم.

لعلك الآن قد بدأتَ تفهم لماذا تختلف ساعاتُ النوم من شخصٍ لآخر؛ البعض ينام طويلًا لساعاتٍ أطول من غيره، البعض تغفل عينه للحظات ثم يستيقظ سريعًا والآخر ينام بدون أن تبدو هناك لحظةٌ قريبة سيستيقظ فيها.

فوقت راحتك مرتبطٌ بعدد من يفكر فيك وفي أي لحظةٍ وبأي شكلٍ ومعنى.

ألا تجد نفسَك تنام للحظات تفاجئك بدون أن تتوقعَها في حين أنه تأتي أوقاتٌ لا يزورك النوم رغم كل المحاولات التي تسعى من خلالها لكي تنام؟

كل هذه الاختلافات تعودُ إلى من يفكرُ فيك أو ينشغل عنك بنفسك.

فلحظة النوم الخاطفة تلك تحدثُ حين تكون في مكانٍ عام ويراك شخصٌ فتجذبه ليتخيلَ من أنت أو ما يشغلُ تفكيرك، ولكنه حين يغادر ذلك المكانَ بدون أن تلاحظه، تسقطُ من ذهنِه فتستيقظ فجأةً كما غفوت فجأة.

إن كنت ما زلتَ غير مقتنعٍ فتأمل الطفلَ النائم، هو ينام بهذا العمق لأن هناك من ينشغل به عنه بصدقٍ وبحب.

أعلم أنك لم تنمْ من فترةٍ، أعلم أنك تنتظر أن تجد عندي ما يجعلك ترتاح لتغلق عينيك وتنام، ولكني لا أهتم بك، لا أفكر فيك، لا أجد فيك ما يجعلني أجد الانشغال بك مظهرًا من انشغالي بنفسي.

لست هنا لمساعدتك.

أنا هنا لتعرف ما أنت فيه، ما أنت مقبلٌ عليه، ستفنى رويدًا رويدًا من أذهان غيرك، سيقتاتون على أوقاتِ راحتك، لأنك ستندفع تشغل نفسك بأي أحد، ستستجدي الأشخاص لتهتمَّ بهم، لكي تدفعهم ليهتموا بك، لعل في لحظةٍ يعطوك من أوقاتهم وقتًا لترتاح فيه وتنام، ولكنك لن تنامَ، لأنه لن يفكر فيك أحد.

إن أردت أن تعرف كيف أعرف كل هذا عنك ولا أهتم بك أو أفكر فيك، فهذا لأني وقت نومك، وقت راحتك، الذي لا يريدك ولا يبحث عنك، لأنك لا تعرف إلا نفسك.

أجل أنا تلك الراحةُ المخصصة لك والتي تمردت عليك، لأنانيتك، لأنك لا تعرف إلا نفسك.

لا أفكر فيك لأني لا أريد أن ألقاك، لا أريدك أن تنام.

17– ما الموت إلا لحظة

مثلي مثل كل لحظة، لا شيء يميزني عن غيري من ملايين اللحظات التي مرت بك في حياتك.

خُلقت حين و اقع قدرك الغيب فظهرت من عدم رغم أني نتاج وجودٍ لا يتوقف عن الوجود...

مثلي مثل كل لحظات حياتك لا تعرف بها ولكنك تظنُّ أنك تسيطر عليها، لا تعرف ما سيحدث بعد لحظةٍ من الآن في كل حياتك وليس فقط حين آتيك لتنتهي تلك الحياة كما تعرفها.

لن أتحدثَ عن اللحظات التي تليني في قدرك وقبرك، ولن أتحدثَ عن اللحظات التي سبقتني وقادت إليَّ، لكني سأتحدث فقط عني؛ كيف أمتلكك وأطلقك، كيف أني أفنيك و أنقلك حيثُ لا تعلم ولا تتوقع ولا تعرف.

ورغم أنك لا تعرف إلا أنك لا تهتم أن تعرف عني وتظنُّ أني قد استنفدت كل قدرتي على أن أفاجئك وتتفاجأ حين تجدني أفاجئك.

أنا اللحظة التي يجب أن تنتظرها لأني اللحظة الوحيدة المؤكدة في مستقبلك، ولكن لأنك لا تعلم ما يخفيه ذلك المستقبل، تتخيل أني لن أكون فيه، أو أني سأضيع طريق الوصول إليك ولن نتقابلَ يومًا ما.

ولكني هنا أنتظرك، فأنا لا أسعى إليك، أنت من يسعى إليَّ، تقترب

مني ولكنك لا تشعر...

أنا كذلك لا أعرف متى ستصل، ولا كيف سأستقبلك ولكني أعرف أنك ستلاقيني و أني سأُحسنُ استقبالَك، لأني سأدهشك، مرةً أخرى مهما توقعتي لن تستطيع أن تحسب حساب لقائي، لأني اللحظة الوحيدة التي بالتأكيد لم تجرّبْها من قبل...

أجل، ربما قد مرضتَ، ربما قد فقدتَ الوعي، ربما قد شعرت بأنك أقرب ما تكون لي، ولكنك أبدًا لم تشعرْ بي، حتى تلك الأوهام التي تخلقها لحظاتٌ تدفعك للظنّ أنك قد عانقتني فهذا لا شيء مقارنةً بي، فالموت لا يُعانِقُ من يحل به، الموت لا يسمحُ لك بأي شعورٍ أو توقُّعٍ أو تخيُّل أو ظنٍّ، حين تأتيني ستعرف أني لن أعطيك وقتًا لتعرف أي شيءٍ عني، ستختبرني وتنتهي خبرتك قبل أن تفهمها أو تحلِّلها أو تشرحَها لنفسك...

أنا أنتظرك، لهذا فأنا لا أتعجلُ لقاءَك بحديثي هذا، ولا أُعدِّك للقائي كذلك؛ فأنت لن تتأخرَوستأتي على الموعد وكذلك لن تتذكر قولي هذا بعد أن أنتهي منه.

لماذا أحكي لك كل هذا إذًا؟

لا يوجد سببٌ يفيدك، كل ما في الأمر أني وجدت من يشغله التفكير بي في هذه اللحظة فاستغللت أفكاره و انسللت إلى حروفه، هو مثلك سينساني بعد أن ينتهي من كتابتي ولكنها فرصةٌ جاءت لي لأحكي عن نفسي، نفس الحديث الذي كتبه غيره من قبل وسيكتبه آخرون من بعد، لن يستفيد منه أحدٌ لأنه لا يعلم بي أحد.

فأنا سرٌّ لا ينكشف إلا لمن سيحفظه، ولن يحفظني إلا من يعيش لحظتي كاملةً ولحظتها يستحيل أن يكشفني...

الفهرس

قبل أن تقرأ 5
36- بدايةً، ما هي رؤى الخيالات؟ 7
03- ماذا سيحدث بعد قليل؟ 10
19- كيف لا تقتل من قتلت بالأمس؟ 15
14- ما بين المعقول وبين اللامعقول! 21
22- لعلنا خلل 24
25- أرجوك احزن 31
01- هذه القصة كريبي! 36
28- نادني باسمي! 43
31- النعمة والرحمة 46
20- كم نكره حين نحب! 51
27- أريد أن أبكي! 56
09- الوحدة 58
32- اجلس لتعلم 62
24- نفس المكان 64
30- ما قبل الخيانة 70
21- اخلقني 72
04- افتح عينيك 77

10- كم أنا جميل! 85
05- تلك الظنون 87
11- انعكاس 92
23- حقيقة 100
06- لكنك لا تعرف كيف تموت 106
07- أين يصل الدعاء 109
12- أُكتُبْ أنت! 113
29- أن تقتلني بصدق 120
08- من يجلس معك 124
33- لحظة في المجهول 128
13- لست من تنتظر 132
26- السقوط 136
15- أقوى ما لديك 141
34- ما يفصل بيننا 146
35- لا يريد ذلك 151
02- كيف لا تبكي 156
16- أن تندم لأستريح 162
18- لماذا لا تنام في الليل 166
17- ما الموت إلا لحظة 170
الفهرس 173

كما نثق بكتابنا نثق بصوتك / هنا نصغي إليك!

الهالة للنشر والتوزيع
AL HALA PUBLISHING & DISTRIBUTION

تواصل معنا، ونحن نسمعك!
https://www.facebook.com/alhalapublishing
info@alhalapublishing.com